

شذرات في الاستخبارات والدفاع والسياسة

أحمد مولانا

٢٠١٩









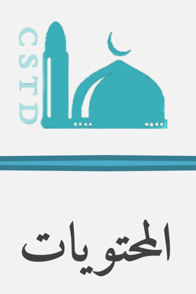
شذرات في الاستخبارات والدفاع والسياسة

أحمد مولانا

www.cstd.site

cst-developement@protonmail.com

٢٠١٩



المحتويات



مقدمة

مع تسارع الأحداث، واتساع نطاق الحروب والصراعات في قلب العالم الإسلامي، وتدفق طوفان من المعلومات في الكتب والدراسات والمقالات، وعلى شاشات وسائل الإعلام المتنوعة، وتطبيقات وسائل التواصل الاجتماعي المتعددة، بما تتضمنه من أراء وتحليلات مختلفة ومتضاربة، ازدادت حاجة المرء إلى التعرف على مقدمات في مجالات الدفاع والاستخبارات والسياسة تساعده على فهم خلفيات ما يدور حوله. وتعمل على زيادة وعيه.

وتسعى هذه الرسالة إلى المساهمة في تلك المجالات عبر تناول محاور متنوعة تشمل الاستخبارات والدفاع والسياسة. ففي محور الاستخبارات سأتطرق إلى كيفية دراسة علم الاستخبارات، ثم اتطرق إلى أبرز الدوريات التي تصدر في مجال الأمن والاستخبارات، ثم أتناول بالعرض محتويات عدد من إحدى أبرز المجلات التي تعنى بالشئون الاستخباراتية وكواليس الأحداث، ألا وهي مجلة إنتيليجنس أون لاين. ثم أستعرض دليل تحليل التمرد الذي أصدرته وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في عام 2012 من أجل مساعدة محللي الاستخبارات والمختصين على تحليل وفهم وتقييم التمردات التي تقع ضمن دوائر اهتمامهم، مما ييسر استشراف مستقبلها، وتقديم توصيات بشأن كيفية التعامل معها. ونظرا لأن موضوع اختراق الجماعات الإسلامية يحظى بأهمية كبيرة، فسأتطرق إليه عبر تناول كيفية اختراق الأمن المصري للجماعات الإسلامية.

أما محور الدفاع فسأتناول خلاله التعريف بأبرز التقارير الدورية الخاصة بالتوازن العسكري عالميا، وأبرز المجلات العسكرية الأمريكية الدورية التي صدرت أو ما زالت تصدر باللغة العربية، وهو ما سيساعد القارئ على مواكبة المستجدات في مواضيع التسلح والإنفاق العسكري، والتكتيكات والتطورات العسكرية.



أما محور السياسة فيشمل برنامجا موجزا مقترحا لزيادة الوعي السياسي، ثم سأستعرض نموذجا عمليا للتطورات السياسية في العالم العربي، والتي تمتزج فيها الأبعاد المحلية والإقليمية والدولية بشخصيات القادة وتوجهاتهم. وذلك عبر تناول حيثيات نشأة الدولة السعودية الثالثة مطلع القرن العشرين بالاعتماد على وثائق الأرشيف البريطاني المرفوع عنها السرية. وفي الختام أسعى لتناول التغيير الاستراتيجي المرتقب في قلب العالم الإسلامي، وتقديم رؤية لكيفية العمل في ظل الأوضاع المتأزمة الحالية.





١ كيف ندرس علم الاستخبارات؟



يمثل علم الاستخبارات لدى الكثيرين في البلاد العربية خطا أحمر لا ينبغي الاقتراب منه فضلا عن التعمق فيه. فهو من اختصاص الأجهزة الاستخباراتية والأمنية وحدها، والتي لا يقتصر دورها على فهم المجتمع المحلي، بل يمتد للعمل على تشكيل المجتمع والسيطرة عليه، والقضاء على قوى التغيير الحية فيه. سأستعرض هنا بإيجاز تطور دراسة علم الاستخبارات، وأبرز المواضيع المندرجة ضمنه، ثم أذكر نماذج لأبرز الكتب الأكاديمية المعتمدة كمصادر ضمن البرامج الجامعية المتعلقة بحقل الاستخبارات في الجامعات الأمريكية.

أولا تطور دراسة علم الاستخبارات

يتوهم البعض أن علم الاستخبارات قرين للتجسس والحيل والمكائد فقط، بينما هو أوسع من ذلك بكثير، إذ يدور جوهر الاستخبارات حول جمع المعلومات وحمايتها ونشرها. ولذا ظلت المعلومات الاستخباراتية تتصف بالسرية كواحدة من خصائصها الأساسية، ولكن مع سبعينات القرن العشرين، وإثر مجموعة من الفضائح والإخفاقات التي منيت بها وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، سعى الكونجرس لسن تشريعات تضبط أنشطة الوكالة، وخلال ذلك بدأت تنمو مدارس فكرية تسعى لتقديم إجابات عن مدى علاقة الأنشطة السرية بمعايير الحكم الديمقراطي.

وتبلورت آنذاك مدرستان رئيستان لدراسة الاستخبارات حسب خبير الاستخبارات الأمريكي إبرام شولسكي. المدرسة الأولى ترى أن الاستخبارات أصبحت - أو على الأقل ينبغي أن تصبح - فرعا من فروع العلوم الاجتماعية، تسعى إلى تحليل القضايا السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعسكرية، وتوقعها في نهاية المطاف. وبالتالي دعت هذه المدرسة إلى إزالة الغموض عن طبيعة عمل الاستخبارات، وتشجيع تدفق الأفكار بين أجهزة الاستخبارات والأوساط الأكاديمية، ومساعدة الاستخبارات على التقدم نحو الهدف المرجو بأن تصبح أشبه ما يمكن بعلم اجتماعي، ولتصير وكالات الاستخبارات شبيهة بمؤسسات الفكر والرأي.

أما المدرسة الفكرية الأخرى فقالت: إن الغرض من الكتابة العامة عن الاستخبارات هو كشف الأخطاء والعيوب، والمساعدة في إحداث تغيير للأفضل في الطريقة التي تعمل بها وكالات الاستخبارات. واعتبرت تلك المدرسة أن الأسرار والخبايا التي قد تُكشف أثناء



ذلك تعتبر أمرا ثانويا مقارنة بالضرر الذي تسببه وكالات الاستخبارات نفسها عندما تعمل خارج نطاق الرقابة والتدقيق العام.

وقد قفزت دراسة علم الاستخبارات على يد هاتين المدرستين خطوات للأمام بمرور الوقت، فأصبحت مجالا معترفا به في الدراسة الأكاديمية، خاصةً في البلدان الناطقة باللغة الإنجليزية، وذلك لأن المعلومات المتاحة - على المستوى العام - حول قضايا الاستخبارات عادة ما تتعلق بأجهزة استخبارات الدول ذات الأنظمة الأكثر انفتاحاً.

وقد اعتمدت الأدبيات الأكاديمية آنذاك على المصادر التاريخية التي تتناول الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة. ثم عقب سقوط الشيوعية في الاتحاد السوفييتي السابق وأوروبا الشرقية، أتيح للباحثين الوصول إلى بعض السجلات الاستخباراتية، وخصوصا في ألمانيا الشرقية، مما ساهم في تطور التأريخ الاستخباراتي، ولاحقا عقب أحداث سبتمبر وغزو العراق ازداد الاهتمام الأكاديمي بالتحليل الاستخباراتي، ودراسة معوقاته، وكيفية تطويره، لتلافي الفشل الاستخباراتي في استقراء خطر تنظيم القاعدة بالشكل المناسب، فضلا عن فضيحة الاستخبارات الأمريكية المتعلقة بمزاعمها حول امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل. ومن ثم أخذت المؤلفات الأكاديمية، والكتب، والمجلات والدوريات المتخصصة في موضوع الاستخبارات في الازدياد. حتى وصل عدد المقررات الخاصة بدراسة الاستخبارات في أمريكا إلى 840 مقررا يجري تدريسهم في 100 مؤسسة تعليمية مدنية.

ثانيا أبرز مواضيع علم الاستخبارات

يهتم علم الاستخبارات بدراسة النظريات الاستخباراتية التي تتناول علاقة الاستخبارات بالأمن القومي، والأنشطة الاستخباراتية المعنية بجمع وتحليل المعلومات وإعاقة الأنشطة الاستخباراتية للخصوم، ودور الوكالات الاستخباراتية، وطبيعة ارتباطها بالنظام السياسي



التي تعمل تحت مظلته، فضلا عن دراسة التاريخ الاستخباراتي اعتمادا على الوثائق المرفوع عنها السرية، من أجل استخلاص الدروس العملية المستفادة، وتجنب الاخفاقات مستقبلا.

ويندرج ضمن ما سبق دراسة:

- طرق وتقنيات جمع المعلومات الاستخباراتية، وإفادات المصادر وتقييمها، والمشاكل التي تعيق جمع المعلومات، والأساليب الإحصائية والكمية لتصنيف وفرز المعلومات.

- أصول التحليل الاستخباراتي وتقنياته، والعقبات التي تواجهه، وكيفية كتابة التقديرات الاستخباراتية، ومقاربات الحد من حالة عدم اليقين عند إجراء تحليلات استخباراتية للبيئات غير المستقرة.

- الاستخبارات وتطبيق القانون، والعلاقة بين صناع السياسة والاستخبارات، وهذا المجال يشمل المشكلات التي تعتري منظومة إدارة الأجهزة الاستخباراتية من قبيل التسييس، وتجاوز السلم الوظيفي، والتخطيط، والميزانية، والبرامج، والتعامل مع وسائل الإعلام، وكيفية ضبط أداء أجهزة الاستخبارات كي لا تعمل خارج القانون.

- دراسة أجهزة الاستخبارات المختلفة، للتعرف على بنيتها، وأساليب تعاملها مع الأحداث الفجائية، فضلا عن دراسة شبكات الجريمة المنظمة والتجسس الصناعي.

وجدير بالذكر أن الدراسة الأكاديمية للاستخبارات تفيد حتى العاملين ميدانيا في أجهزة الاستخبارات. حيث تحرص وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية على توفير منح أكاديمية لعناصرها للدراسة بالجامعات، إذ يذكر مسؤول العمليات السرية السابق بمركز مكافحة الإرهاب "هنري كرامبتون" في مذكراته (فن التجسس) أنه بعد أن أشرف على عمليات الوكالة بأفغانستان عام 2001 تفرغ في عام 2002 لنيل إجازة أكاديمية في كلية بول نيتزه للدراسات الدولية المتقدمة بجامعة جون هوبكنز درس خلالها مقررات في الفكر السياسي والاستراتيجية العسكرية والتاريخ والسياسة الخارجية والإرهاب والفلسفة، كما درس برنامجا



بعنوان (فن الاستخبارات وحرفتها) وأكد أنه خلال هذا البرنامج الدراسي توسعت مداركه كثيرا.

ثالثا مقترحات لدراسة علم الاستخبارات

يحتم على الحركات التغييرية العناية بإنشاء مراكز بحثية تعنى بدراسة العلوم الاستخباراتية ومواكبة التطور العلمي فيها، أو على الأقل تخصيص أقسام للدراسات الأمنية والاستخباراتية في المراكز البحثية الموجودة، وايفاد الشباب النابه والمؤهل لدراسة تلك العلوم في الجامعات الغربية، وكذلك العناية بترجمة أبرز الكتب التي تدرس في هذا المجال أكاديميا لتوفير معارف نظرية تفتح آفاقا جديدة من الوعي يحتاج إليها المسلمون في صراعاتهم الحالية مع أعداء الإسلام والإنسانية. ومن أمثلة تلك الكتب:

1- المرجع في دراسات الاستخبارات، وهو من تأليف لوك جونسون، وطباعة دار روتليدج.
2- التحليل الاستخباراتي، أصوله، معوقاته، مستجداته، وهو يشمل 18 دراسة منفصلة، طباعة مطابع جامعة جورج تاون.
3- كتاب الحرب الصامتة: فهم عالم الاستخبارات، لإبرام شولسكي وجاري شميت.
4- الحد من عدم اليقين، التحليل الاستخباراتي والأمن القومي، لتوماس فنجر.
5- التصدي للأعداء في الداخل والخارج: كيف تصبح ضابط مكافحة تجسس، ، للمؤلف ويليام جونسون، وطباعة مطابع جامعة جورج تاون.

فضلا عن متابعة الدوريات الاستخباراتية المتخصصة، مثل دورية الاستخبارات والأمن القومي الصادرة عن دار روتليدج، ودورية (دراسات في الاستخبارات - Studies In Intelligence) الفصلية التي تصدر عن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، والتي



تتضمن دراسات تاريخية عن عمليات استخباراتية حدثت أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية وحرب فيتنام، ومكافحة حروب العصابات، كما تنشر عددا من المقالات تحت باب (الاستخبارات اليوم وغدا) تتناول جديد الشأن الاستخباراتي. أما أهم ما فيها فهو باب (مراجعات رف كتب ضباط الاستخبارات) الذي يقدم ملخصات عن أهم الكتب الجديدة الصادرة في مجال الاستخبارات داخل أمريكا وخارجها، والتجسس ومكافحته، والمذكرات الشخصية لعناصر الاستخبارات، وجديد الكتب الأكاديمية الخاصة بعلم الاستخبارات. وكذلك من المفيد متابعة الدوريات التي تعنى بالشق العملي من الاستخبارات مثل نشرة إنتيليجنس أون لاين الفرنسية، ونشرة جينز إنتيليجنس البريطانية[1].

ونظرا لأهمية مجلة مثل إنتيليجنس أون لاين، ومحدودية تداولها في العالم العربي بسبب القيود المتعلقة بالاشتراك فيها، وعدم توافرها مجانا على شبكة الإنترنت، وارتفاع ثمنها بشكل كبير، فسأتحدث في المقال القادم عن تلك المجلة بقدر من التفصيل.

[1] - المراجع:

Abram Shulsky and Gary Schmitt, Silent Warfare: Understanding the World of Intelligence. - .Potomac Books, USA

شادي منصور، دراسات الاستخبارات، الحقل الجديد في الدراسات الأمنية الحديثة، العدد 2 من سلسلة أوراق أكاديمية، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة.



٢ مدخل إلى دوريات الأمن والاستخبارات



تحرص الأجهزة الأمنية في الدول العربية على احتكار العلوم والمعارف المتعلقة بالدراسات الأمنية والاستخبارية، وهو ما انعكس على عدم وجود أي دورية علمية رصينة باللغة العربية تتناول قضايا الأمن والاستخبارات. وبالمقابل نجد باللغة الإنجليزية عدة دوريات أغلبها رصين يتناول مسائل الأمن والاستخبارات. وسيحاول هذا المقال التعريف بأبرز تلك الدوريات المتاحة على شبكة المعلومات الدولية (الأنترنت).

أولا

دورية (دراسات في الاستخبارات - Studies In Intelligence)

هي دورية فصلية تصدر منذ عام 1955عن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية. وتتضمن دراسات تاريخية عن النجاحات والاخفاقات في العمليات الاستخبارية أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية وحرب فيتنام وحروب مكافحة العصابات وغيرها، كما تنشر عددا من المقالات تحت باب(الاستخبارات اليوم وغدا) تتناول جديد الشأن الاستخباراتي والتحديات التي تواجه عمليات جمع المعلومات والتحليل الاستخباري، وكيفية



إدارة مجتمع الاستخبارات، والتعامل مع المعلومات الضخمة في عصر المعلومات، وعمليات مكافحة التجسس.

أما أهم ما في المجلة فهو باب (مراجعات رف كتب ضباط الاستخبارات) الذي يقدم ملخصات عن أهم الكتب الجديدة الصادرة في مجال الاستخبارات داخل أميركا وخارجها، والتي تتناول مكافحة التمرد، والتجسس ومكافحته، والمذكرات الشخصية لعناصر الاستخبارات، وجديد الكتب الأكاديمية الخاصة بعلم الاستخبارات.

تتميز مقالات المجلة بالتنوع حيث تغطي الجوانب النظرية والتشغيلية والتاريخية في علوم الاستخبارات. وتضم هيئة تحرير المجلة مدير وكالة الاستخبارات المركزية وعددا من العاملين بالوكالة. وقد عمل أكثر من 100 شخص بهيئة التحرير على مدار تاريخ المجلة. وتختص هيئة التحرير بمراجعة المقالات المقدمة للنشر واعتماد المناسب منها.

وتتسع صفحات المجلة لنشر مقالات من خارج مجتمع الاستخبارات الأميركي، حيث نشرت حتى الآن مقالات لما يزيد عن 1000 شخص. وفيما يكتب بعض كوادر الاستخبارات بأسمائهم الحقيقية مثل كبار مسؤولي الوكالة، فأحيانا ما يكتب عدد من ضباط الوكالة مقالات بالمجلة تحت أسماء مستعارة. تقدم المجلة منذ عام 1960 حتى الآن جائزة سنوية لأفضل مقال، وهي جائزة يمكن أن تحجب في ظل عدم نشر مقالات رفيعة المستوى. ففي أول 45 سنة من عمر الجائزة حُجبت 16 مرة. يتيح موقع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية تحميل المجلة مجانا، ويرفع الموقع أرشيف المجلة منذ عام 1992 حتى الآن.

CSTD

ثانيا الإرهاب والعنف السياسي (Terrorism and Political Violence)

هي مجلة أكاديمية محكمة تأسست في عام 1989 من قبل ديفيد رابوبورت الباحث بجامعة كاليفورنيا، وتغطي مسائل الإرهاب ومكافحة الإرهاب، وتربطه تلك القضايا بالمجتمع والسياسة والمجتمع الدولي.

تعرف المجلة نفسها بأنها (دورية تنشر مقالات تتناول الجوانب التاريخية والفلسفية والسياسية والقانونية والنفسية والثقافية للإرهاب، والعلاقة بين الإرهاب وأشكال العنف الأخرى مثل الجريمة والتمرد والثورة والحرب).

يضم العدد الواحد قرابة 25 مقالا ومراجعة للكتب. وقد تناول العدد الأخير مواضيع من قبيل: الاستراتيجية الصينية لمكافحة التطرف، وسائل التواصل الاجتماعي الفلسطينية وهجمات الذئب المنفرد: الثقافة والشرعية والانتشار، هل 90% من الجماعات الإرهابية تبقى أقل من عام؟

ثالثا الاستخبارات والأمن القومي (Intelligence and national security)

هي أول مجلة علمية محكمة تدرس تاريخ العمليات الاستخبارية. وقد تأسست عام 1986، وتنشرها شركة روتليدج.

يضم العدد الواحد قرابة 12 مقالا. وقد تناول العدد الأخير مواضيع من قبيل: تطوير نظرية استخدام الاستخبارات من قبل الجهات الفاعلة غير الحكومية، الكلمات أرخص من الرصاص: الحرب النفسية البريطانية في الشرق الأوسط (1945-1960)، تقنيات الدعاية



المغطاة : النهج البريطاني في الشرق الأوسط خلال ستينات القرن العشرين، شبكة استخبارات المتمردين وأساليبهم خلال الحرب الأهلية اليونانية.

رابعا

المجلة الدولية للاستخبارات والأمن والشؤون العامة (The international journal of intelligence, security, and public affairs)

هي دورية إسبانية بدأت في الصدور في عام 2006 كأول مجلة علمية إسبانية متخصصة في دراسة الاستخبارات. ثم أطلقت المجلة نسختها الإنجليزية في عام 2016. وتقدم دراسات متميزة عن العلوم الاستخبارية المتنوعة، وتطور الدراسات الاستخبارية في العديد من البلدان حول العالم.

تتراوح مقالات العدد الواحد من 4 إلى 8 مقالات، وقد شمل العددان المنشوران في العام الحالي مقالات من قبيل: التلاعب من خلال السلوك الجنسي عبر الانترنت: النموذج لاستخدام العامل البشري في الاستخبارات ومكافحة التجسس في عصر البيانات الضخمة، نحو تعريف فلسفي للاستخبارات، مقاربة اجتماعية للتطرف في الإسلام: الحاجة إلى مؤشرات.

خامسا

المجلة الدولية للاستخبارات ومكافحة التجسس The international journal of intelligence, and counter intelligence

هي مجلة أكاديمية فصلية محكمة تأسست عام 1986، وتنشرها شركة روتليدج. وتهتم المجلة بقضايا الاستخبارات ومكافحة التجسس، وتعتني باستكشاف الأساليب والتقنيات المستخدمة في مختلف جوانب العمل الاستخباري، والعقبات والمزالق التي تواجه عملية تطوير الأنشطة الاستخبارية، بما في ذلك المفاهيم الخاطئة وعمليات الخداع الذاتي التي تشوه عملية جمع البيانات الأولية ومعالجتها وتحليلها.



تعتني المجلة بالاستخبارات التقليدية المرتبطة بالمجالين السياسي والعسكري مثلما تعتني أيضا بالمجال المتنامي للاستخبارات التجارية والصناعية.

يضم العدد الواحد قرابة 15 مادة من بينها مقالات ومراجعات كتب. وقد ضم العدد الأخير منها عناوين مثل: فن التعامل مع العميل، تطوير نموذج مفاهيمي لتحليل الاستخبارات، مكافحة التجسس: أداة غير متماثلة للقتال في سلاح البحرية الأميركي، الطوب وقذائف الهاون: الهندسة المعمارية والأمن الداخلي للولايات المتحدة

جدير بالذكر أن هذه الدوريات عدا دورية (دراسات في الاستخبارات) لا يتاح الاطلاع عليها سوى عبر شراء نسخة إلكترونية منها، وهو ما دفع البعض لاستخدام موقع : SCI-HUB لتحميلها مجانا.



 ٣ مجلة انتليجنس أون لاين: أهميتها ومحتواها



في خضم الأحداث المتلاحقة والمستجدات المتسارعة، تكثر التحليلات وتختلط المعلومات بالشائعات، حتى يصير المرء أحيانا غير قادر على فهم خلفيات الأحداث أو فهم الدوافع الكامنة خلف بعض تصرفات الساسة أو ممارسات الدول. وهنا تأتي أهمية العلاقات مع الدوائر التي لها اطلاع على ما يدور خلف الكواليس. ونظرا لأن هذه العلاقات قد تكون محدودة أو معدومة، فيتمثل البديل عندئذ في متابعة المنابر الإعلامية التي تغطي تلك المساحات الغامضة والمجهولة. وتأتي مجلة إنتيليجنس أون لاين على رأس المجلات التي تغطي أحداث ما خلف الكواليس مثل صفقات الأسلحة، والمستجدات في البنية الداخلية لأجهزة الاستخبارات العالمية، والعلاقات التي تجمع بين الساسة ورجال الأعمال وكبار قادة أجهزة الأمن والاستخبارات. وجديد التقنيات المتعلقة بالأمن السيبراني.

بدأت المجلة في الظهور بباريس منذ عام 1980 باللغتين الإنجليزية والفرنسية، ومازالت حتى اليوم تصدر بهاتين اللغتين فقط. ويصدر منها عددان شهريا. ولكن يعيب المجلة ارتفاع سعرها، حيث بلغ اشتراكها السنوي مطلع عام 2019 مبلغ 1580 دولار، أي ما يكافئ



65 دولارا تقريبا للعدد الواحد، والذي لا يتخطى عدد صفحاته 8 صفحات غالبا. ولا تتاح المجلة مجانا، حتى إن موقعها الإلكتروني ينشر الخبر الواحد بمتوسط سعر 6 يورو. ويضم العدد الواحد ما بين خمسة وثلاثين إلى ثمانية وثلاثين خبرا. ورغم ارتفاع ثمن الاشتراك بالمجلة إلا أن مضمونها مهم لمن يولون عناية بالأحداث العالمية والإقليمية، سواء كانوا مؤسسات أم جماعات أم قادة رأي أم غير ذلك.

تضم المجلة أبوابا ثابتة، وسأستعرض تلك الأبواب مع ذكر نماذج للأخبار الواردة في العدد رقم 819، الصادر في 5 ديسمبر 2018:

1- **خبر رئيس:** تبدأ الصفحة الأولي من المجلة بخبر رئيس يتعلق غالبا بمستجد في العلاقات بين الدول، أو بالصراعات بين الشركات العملاقة المرتبطة بدول كبرى وأجهزة استخبارات عتيدة. وقد استعرض العدد المذكور خبر عودة بعض الشركات الأجنبية الكبرى للعمل في السعودية مجددا بعد حادثة مقتل الصحفي جمال خاشقجي. حيث أشار إلى تفاوض شركة إيرباص على عقد ضخم لبيع طائرات هليكوبتر قتالية للرياض. وكذلك تناول سيطرة ولي العهد السعودي محمد بن سلمان عبر شقيقه تركي بن سلمان على معظم قنوات التفاوض الخاصة بعقود الدفاع الحكومية وعقود الطاقة الرئيسة بعد إزاحة الحرس القديم من دوائر الأعمال بالمملكة أثناء حملة اعتقالات الريتز كارلتون في نوفمبر 2017.

2- **أروقة السلطة:** وهو ركن يضم عادة أخبارا تتعلق بسياسات الدول وخلفيات بعض الأحداث. وقد تناول في العدد المذكور ثلاثة أخبار، من بينها: التنسيق بين جهاز الاستخبارات الخارجية الفرنسي (DGSE)، وجهاز الاستخبارات الخارجية الألمانية (BND) في مواجهة التهديدات التي تمثلها روسيا. وانتقال



رونالد مولتري المسؤول رفيع المستوى بوكالة الأمن القومي للعمل بشركة ميكروسوفت.

3- **الاستخبارات الحكومية**: وهو أكبر ركن عادة في المجلة، ويضم أخبارا تتعلق بسياسات الحكومات وأجهزة الاستخبارات. وتناول العدد المذكور 13 خبرا، من أبرزها: محاولات القيادة الجديدة لجهاز الاستخبارات العسكرية الروسية (GRU) طي صفحة فضيحة محاولة اغتيال الجاسوس سكريبال بلندن. كما تطرق إلى النزاعات على النفوذ بين أجهزة الاستخبارات الروسية بعضها البعض.

وكذلك تناول خبر تعيين ترامب لسفيرين أمريكيين جديدين باليمن والعراق يحملان توجهات معادية لإيران.

ومساعي مكتب الاتصالات الحكومية البريطاني المكافئ لوكالة الأمن القومي الأمريكية لاجتذاب ألمع الباحثين الشباب من جامعة مانشستر ومعهد هيلبرون للبحث الرياضي، لكونهما من المؤسسات التي تزود الوكالة بباحثين مميزين في الرياضيات والعلوم الإلكترونية.

وجهود جهاز الاستخبارات الخارجية الفرنسي للتجسس على المحادثات التي تجري بين لاعبي ألعاب الفيديو على الإنترنت. وإطلاق جهاز الاستخبارات الخارجية الألماني (BND) مؤخرا لحملة توظيف عبر الإنترنت لمترجمين يجيدون اللغة التركية.

4- **المناطق الرمادية**: وهو ركن يتناول اللقاءات بين رؤساء الدول، والتفاهمات السياسية. وقد تناول العدد المذكور المحادثات بين الزعيمين التركي والقطري أثناء لقائهما في 26 نوفمبر 2018. وتطرق إلى جهود أنقرة والدوحة لإقامة علاقات اقتصادية مشتركة مع دبي والشارقة من أجل عزل آل نهيان في



إمارة أبو ظبي. كما ذكر أن استراتيجية أبو ظبي الإقليمية لا ترضي بعض الإمارات الأخرى. وأن حرب اليمن مثلت نقطة خلاف. فبينما تقرر أبو ظبي الخيارات العسكرية، فإن الإمارات الأصغر والأكثر فقرا توفر معظم القوات النظامية، ومن ثم تعرضت لقدر أكبر من الخسائر البشرية.

5- **الصفقات الدولية:** وهو ركن مهم يوضح التداخل بين عالم السياسة والاقتصاد والاستخبارات. وتناول العدد المذكور جهود رجل الأعمال الروسي أوليج ديريباسكا للإفلات من العقوبات الأمريكية على شركاته، مثل شركة (EN+) القابضة، وعملاق الألمونيوم (روسال). حيث استأجر ديريباسكا فريقا من مخضرمي جهاز الاستخبارات الخارجية الروسية ممن لهم علاقات دولية وثيقة من أجل مساعدته. فضلا عن استعانته أيضا بمجموعة ضغط في أمريكا. وبالفعل، وفي آخر ديسمبر، رفعت أمريكا العقوبات عن شركات رجل الأعمال الروسي.

وكذلك تطرق هذا الركن إلى الأزمة التي تواجه شركة الإلكترونيات الدفاعية الفرنسية (تاليس) إثر خضوعها للتدقيق من قبل الوكالة الفرنسية لمكافحة الفساد. وهو الأمر الذي دفع الشركة إلى التخلي عن عدد من الوكلاء الذين عمل بعضهم لحساب الشركة لسنوات عديدة.

6- **استخبارات الشركات:** وهو ركن مهم يضم عدة أخبار تتعلق بشركات الأسلحة، والشركات العاملة في مجال الاستخبارات الاقتصادية. وقد تناول العدد المذكور 14 خبرا، كان من أبرزهم:



- بيع شركة الصناعات الجوية الإسرائيلية (IAI) لثلاث طائرات بدون طيار من طراز (هيرون 1) ومحطة تحكم في الطائرات إلى الجيش الفيتنامي.

- تعيين ستيفانو تشميليوسكي، الرئيس السابق لشركة (Arquus) الفرنسية لتصنيع العربات المصفحة، كمستشار لشركة برزان القطرية القابضة.

- تولي شركة باردو للأنظمة الأمنية التحقق من سلامة تطبيقات الهاتف المحمول المقترحة في متجر التطبيقات (Milistore)، الخاص بالجيش الفرنسي.

- الصراع بين عدد من كبار رجال الأعمال على الفوز بثروة رجل الأعمال الجورجي الراحل أركادي باتاركاتسيشفيلي، والذي ترك ثروة تقدر بعشرة مليارات دولار دون أن يكتب وصية، مما أشعل نزاعا كبيرا على ممتلكاته.

- اهتمام شركات الأمن العالمية بالفوز بتعاقدات في جنوب السودان. حيث أطلقت بعثة الأمم المتحدة لحفظ السلام في جنوب السودان مناقصة كبيرة لنشر أكثر من 1500 من الحراس المسلحين في البلاد.

7- **العناية الواجبة**: وهو مصطلح يقصد به تحديد وجمع وتحليل وتوزيع المعلومات الاستخباراتية عن المنتجات والعملاء والمنافسين وأي جانب من جوانب البيئة لدعم التنفيذيين والمديرين في اتخاذ القرارات الاستراتيجية للمنظمة.

وتناول العدد المذكور شركة (The-Capital-Partnership) وهي شركة مساهمة خاصة، تتخذ من لندن مقرا لها، ولديها الكثير من الروابط مع الرياض. حيث إن مستشار الملك سلمان للشؤون الخاصة حازم زقزوق عمل كعضو في مجلس إدارتها لسنوات عديدة.



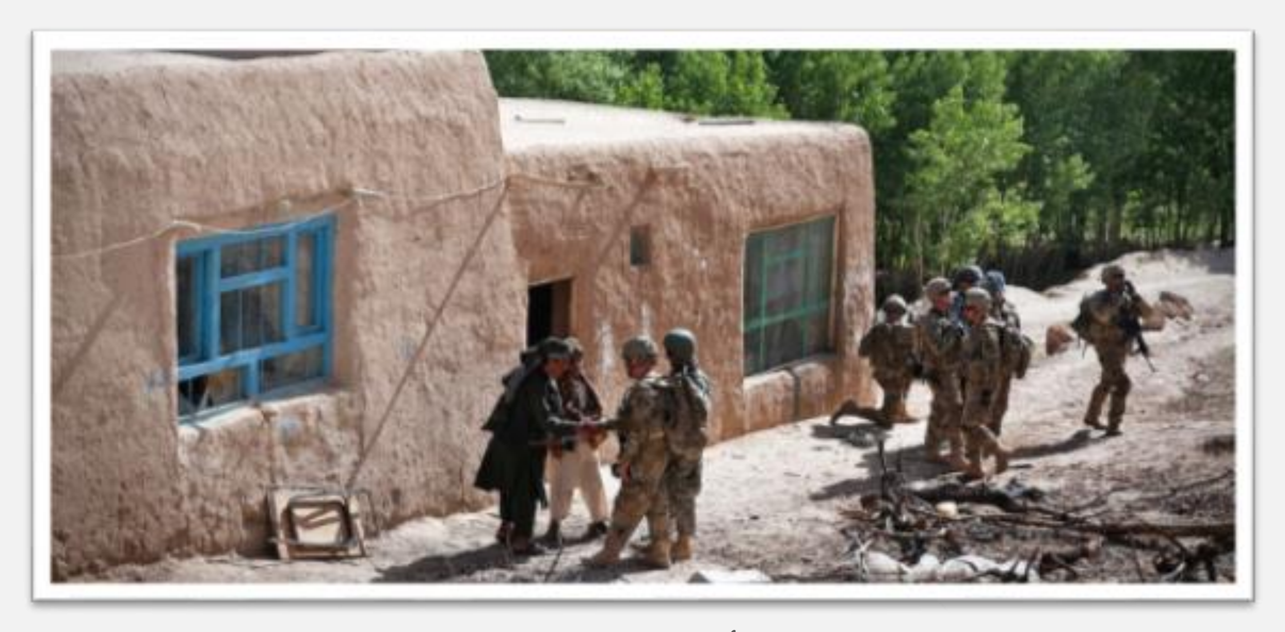
8- **المراقبة والاعتراض:** وهو ركن يعني بجديد تقنيات الاعتراض. وتناول العدد المذكور تمكن المديرية العامة للتسليح بالجيش الفرنسي من تطوير أداة مصغرة يمكنها أن تكتشف آليا وقوع تسريب للوثائق السرية من شبكات الحاسب عند حدوثه.

تلك النماذج لبعض الأخبار الواردة في مجلة إنتيليجنس أون لاين توضح مقدار أهميتها، نظرا لمتابعتها لآخر المستجدات، ورسمها لدوائر العلاقات، وبيانها لأبرز التطورات التقنية. وهي مجالات من المهم متابعتها بدلا من ضياع الأوقات في متابعة مصادر إخبارية ضعيفة المصداقية أو محدودة الاهتمامات.

وينبغي ألا تزيح أهمية تلك النوعية من المجلات الاستخباراتية عن أذهاننا أهمية نمط آخر من الإصدارات، ألا وهي الإصدارات المرجعية التي تتناول مواضيع محددة. فالغرب يراكم خبراته ويدون الدروس المستفادة من الأحداث التي تمر به، ومن ثم ينتج إصدارات مرجعية تحدد كيفية التعاطي مع الأحداث الشبيهة، بحيث إنه عندما يتعامل مع قضية معينة يتحرك في ضوء رؤية متكاملة ومسارات واضحة، ويسعى فقط للتكيف والتعامل بمرونة مع الأزمة المستجدة لتحقيق أهدافه. فعلى سبيل المثال: عندما يواجه الغرب أزمة اندلاع تمرد ضد حكومة موالية له، لا يقف القادة والمخططون الغربيون تائهين لا يدرون ماذا يفعلون، بل إنهم يطبقون فورا التوجيهات المتضمنة في عقائد مكافحة التمرد الصادرة عن المؤسسات المتخصصة في التعامل مع هذا الملف. وفي المقال القادم سأستعرض نموذجا لأحد تلك الإصدارات ألا وهو (دليل تحليل التمرد) الصادر عن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في عام 2012.



٤ دليل السي آي إيه لتحليل التمرد



نشرت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في عام 2012 تحديثا لدليل تحليل التمرد الصادر مطلع ثمانينات القرن الماضي، من أجل مساعدة محللي الاستخبارات والمختصين في تحليل وفهم وتقييم التمردات التي تقع ضمن دوائر اهتمامهم، مما ييسر استشراف مستقبلها، وتقديم توصيات بشأن كيفية التعامل معها.

وجاء نشر هذا الدليل ضمن اعتناء المؤسسات الحكومية الأمريكية بقضايا التمرد ومكافحته، إثر تعرض الجيش الأميركي لاستنزاف بشري وعسكري واقتصادي كبير في العراق وأفغانستان عقب غزوه لهما. ومؤخرا شاركت في ترجمة هذا الدليل للغة العربية. وسأسعى في السطور القادمة إلى التطرق لأبرز ما ورد فيه.

قدم الدليل في بدايته تعريفات موجزة لبعض المصطلحات المتماسة مع موضوعه، مثل: التمرد، ومكافحة التمرد، وحرب العصابات، والميليشيا، والإرهاب، من أجل التفريق بينها، مع التنويه إلى أن إطلاق وصف التمرد على حركة ما لا يعني بالضرورة إصدار حكم معياري على مشروعية الحركة، وإنما هو وصف لطبيعة الصراع.



وقد عَرّف الدليل "التمرد" بأنه صراع (سياسي-عسكري) ممتد يهدف لإزاحة أو تدمير شرعية الحكومة المُنَصبة أو قوة الاحتلال, بغرض التحكم الكامل أو الجزئي في موارد إقليم معين، عبر استخدام قوى عسكرية غير نظامية، ومنظمات سياسية غير شرعية. وأكد أنه لا توجد تمردات متماثلة. ولكن غالبا ما يوجد بعض التشابه بين التمردات في توليفة من الخصائص والتكتيكات والأهداف. كما يمر أغلبها بمراحل نمو متشابهة عبر دورة حياته.

التصنيفات الشائعة للمتمردين:

مع مراعاة أن العديد من حركات التمرد تجمع بين نماذج متنوعة، أو تتطور تدريجيا عبر مسيرة الصراع. إلا أنه يمكن تصنيفها بعدة طرق، من أبرزها:

1- **التصنيف عبر الأهداف**: كما يبينه الجدول التالي:

نوع التمردات	الهدف
ثورية	تهدف إلى استبدال النظام السياسي القائم بنظام مختلف تماما.
إصلاحية	تهدف إلى إجبار الحكومة على تغيير سياساتها، والشروع في إجراء إصلاحات.
انفصالية	تسعى للاستقلال بمنطقة معينة.
مقاومة	تسعى لإجبار قوة الاحتلال على الانسحاب من منطقة معينة.
تجارية	يُحفزها السعي لاكتساب الثروة والاستحواذ على الموارد المادية.

2- **التصنيف عبر التركيز على الهيكل التنظيمي**، ومدى اعتماد المتمردين على الجانب السياسي والعسكري في صراعهم، إلى تمردات:



- مُدارة سياسيا: يُطور خلالها المتمردون هيكلا سياسيا معقدا، سواء قبل أو بالتزامن مع البدء في تنفيذ عمليات عسكرية ضد الحكومة. ويكون المكون العسكري في هذا الصنف من التمرد تابعا للقيادة السياسية.
- مدارة عسكريا: تغلب في هذا الصنف الأعمال العسكرية ضد الحكومة على الحراك السياسي للجماهير. ويبدأ هذا الصنف من التمرد نشاطه ببنية سياسية صغيرة وضعيفة، وغالبا ما يسيطر عليه القادة العسكريون.
- مُدارة بشكل تقليدي: يعتمد هذا الصنف من التمرد على الروابط العشائرية والقبلية والعرقية والدينية، الموجودة مسبقا. وينُظم على شكل هرمي اجتماعي يحل محل الهياكل السياسية والعسكرية.
- الخلايا الحضرية: يتمركز في المناطق الحضرية، ويفتقر إلى الهياكل القيادية الهرمية السياسية والعسكرية، و يُنظم في خلايا صغيرة شبه مستقلة. ويرتكز بشكل كبير على الإرهاب أكثر من أي نوع آخر من التمردات.

أولا دورة حياة التمرد

كل تمرد يختلف عن الآخر, حيث يتشكل بواسطة مجموعة محددة من عوامل الصراع، مثل الثقافة، والمظالم، والتاريخ. ولكن التمردات غالبا ما تتطور عبر مراحل نمو مشتركة ومحددة. ولا يمر كل تمرد بكل مرحلة، فبعض التمردات ستتخطى بعض المراحل، والبعض الآخر سيتراجع ليعود للمراحل الأولى، والبعض سينتهي قبل الوصول للمراحل النهائية. كما أن الوقت المطلوب لعبور مرحلة معينة من المرجح أن يختلف من تمرد إلى آخر. ويمكن تصنيف مراحل التمرد عبر 4 مراحل:



1-مرحلة ما قبل التمرد:

من الصعب اكتشاف الصراع في هذه المرحلة، لأن معظم الأنشطة تكون سرية، ولأن التمرد لم يعلن بعد عن حضوره عبر ممارسة العنف. وأثناء هذه المرحلة تبدأ حركة التمرد في التشكل: فتبزغ القيادة، ويبرز المتمردون المظالم الواقعة عليهم، ويظهرون هوية المجموعة التي ينتمون إليها، وتبدأ عملية التجنيد وتدريب الأعضاء، وتخزين الأسلحة والمؤن.

ويعتبر رد الفعل الحكومي في هذه المرحلة وما تلاها من أكثر العوامل أهمية في تحديد ما إذا كان هذا الحراك سيتطور لتمرد أم لا. فخلال هذه المراحل الأولية، تكون مجموعة التمرد المحتمل ضعيفة، وغير منظمة، وعرضة للتدابير الحكومية المضادة. ومن المرجح أن تتعامل الحكومة معها بشكل خاطئ، سواء بالتغاضي عن المشكلةً أم بالفشل في علاج المظالم التي تؤجج الاضطراب. مما يعطي المتمردين حيزا مناسبا لتنظيم صفوفهم، كما قد تمارس الحكومة رد فعل مبالغ فيه، وتبطش بقوة، مما ينفر السكان، ويولد الدعم للمتمردين.

2-مرحلة الصراع الأولي:

يدخل النضال مرحلة الصراع الأولى عندما يبدأ المتمردون في استخدام العنف. وغالبا ما توفر هذه الهجمات الإنذار الأول للمحللين على احتمال وجود تمرد. ومع ذلك فكثيرا ما تتجاهل الحكومة المستهدفة أفعال المتمردين معتبرة إياها من جنس أعمال قطاع الطرق والمجرمين، مما يزيد من خطر أن تستخدم الحكومة وسائل غير فعالة لمواجهة الوضع.

وهذه هي المرحلة الأكثر خطورة للمتمردين، إذ صار حضورهم محسوسا عبر شنهم لأولى عملياتهم، لكنهم ما زالوا ضعفاء ومفتقدين للتنظيم الجيد. ويجب أن توازن حركة التمرد في مراحلها الأولى بين الحاجة إلى شن هجمات لإثبات حيويتها، والدعاية لقضيتها، وحشد المؤيدين لها، وبين استفزاز رد فعل حكومي مفرط. وخلال هذه المرحلة يساعد فهم



خصائص، وقدرات، وأفعال كل من المتمردين والحكومة، المحللين على تقييم مدى احتمالات انتهاء الصراع الأولي أو توسعه ليصبح تمردا شاملا.

وخلال هذه المرحلة والمراحل التالية، يهتم المختصون بملاحظة أي دوافع للتنافس بين أعضاء مجموعة التمرد الواحدة أو بين المجموعات المختلفة داخل ائتلاف المتمردين. فعدم الانسجام يمكن أن تستغله الحكومة لتشجيع الانشقاقات، وقد يوفر البصيرة الكافية لتحديد أي الأفراد أو المجموعات أكثر انفتاحا لعقد مفاوضات تسوية معهم.

3-مرحلة التمرد الصريح:

في هذه المرحلة، يتضح بلا شك أن الحكومة تواجه تمردا. فسياسيا يسعى المتمردون لتقويض سلطة الدولة عبر العمل على إزاحتها، وربما يُكوِّنون "حكومة ظل" تشابه الهياكل الإدارية للدولة، وقد ينشئون مناطق "محظورة" يتم إخراج ممثلي الحكومة منها.

أما عسكريا، فيشن المتمردون هجمات أكثر تكرارا، وعنفا، وتعقيدا، ويشارك فيها عدد أكبر من المقاتلين. وتشمل المؤشرات التي تدل على نمو قوة المتمردين العسكرية: التغييرات في حجم وتكوين قوة المتمردين، وزيادة معدل هجماتهم، وحجمها، وتطورها، وانتشارها الجغرافي. والزيادة في كمية ونوعية تسليحهم. واستخدامهم لمعدات وأساليب متطورة للاتصالات، ومدى اختراقهم للجيش والشرطة.

وخلال هذه المرحلة تستخدم الحكومة مقاربات لمكافحة التمرد، يمكن تصنيفها بالنظر إلى تركيزها الأساس وفقا للتالي:

- مقاربة "مواجهة العدو": وهي تشدد على تدمير المقاتلين والبنية التحتية للمتمردين.
- مقاربة "اكتساب الدعم الشعبي": وهي تشدد على تأمين السكان وتعزيز دعمهم للحكومة، وتكون خلالها عمليات تدمير المتمردين - رغم أهميتها -أمرا ثانويا.



• المقاربة الاستبدادية، والتي تسعى لمعاقبة المتمردين والسكان الذين يدعمونهم، لجعل تكلفة دعم المتمردين لا تطاق.

4 - مرحلة الحل:

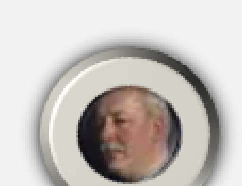
تحرز بعض حالات التمرد تقدما مطردا خلال مراحل دورة حياتها، وفي حين تمر العديد من الحالات على شكل طفرات، فقد تتراجع أحيانا إلى مراحل مبكرة، بينما البعض الآخر قد يظل عالقا في مرحلة واحدة لعقود. ونظريا، سيصل التمرد في نهاية المطاف إلى خاتمته، إما بانتصار المتمردين، أو عقد تسوية تفاوضية، أو بانتصار الحكومة. وقد انتهت 36% من التمردات بعد الحرب العالمية الثانية بانتصار المتمردين بعد مضي فترة صراع بلغ متوسطها قرابة 10 أعوام. بينما انتصرت الحكومات في 36% من الحالات، بعد انقضاء فترة صراع بلغ متوسطها 12عاما، وكان لدى 28% من التمردات نتائج متباينة، لأن المتحاربين توصلوا إلى تسويات تطلبت من الجميع تنازلات مهمة.

بالإضافة إلى ما سبق، حرص الدليل على تقديم مؤشرات مهمة تركز على تقييم كل مرحلة من مراحل التمرد بشكل شامل، ليقدم بذلك مساعدة قيمة ستفيد بكل تأكيد المهتمين بتقييم واستشراف مستقبل الصراعات الحالية التي تشهدها المنطقة العربية حاليا.

وبذلك تكون الفقرات السابقة قد قدمت مدخلا للتعريف بكيفية دراسة علم الاستخبارات، واستعرضت نموذجا لإحدى المجلات المعنية بالشأن الاستخباراتي، وقدمت عرضا موجزا لأحد الإصدارات المرجعية في مجال يمزج بين الاستخبارات والتحليل. وستتناول الفقرة القادمة أحد الأمور العملية المرتبطة بكيفية اختراق الأجهزة الأمنية للجماعات والتنظيمات، وذلك عبر معالجة كيفية اختراق الأمن المصري للتيارات الإسلامية.



٥ كيف يخترق الأمن المصري الجماعات الإسلامية



يجب على الدول أن تلاحظ حركات التعصب الإسلامي أينما ظهرت، لأنه يخشى منها إقلاق النظام وتعكير الراحة العامة - تقرير اللورد كرومر عام ١٩٠٦

يمتد الصراع بين أجهزة الأمن السياسي المصري والحركات الإسلامية والوطنية إلى ما يزيد على قرن من الزمان، وبالتحديد إلى عام 1910 الذي شهد تأسيس أول جهاز أمن سياسي في مصر على يد الاحتلال البريطاني. وخلال تلك المسيرة الطويلة من الصراع بين الطرفين حرصت الأجهزة الأمنية على اختراق صفوف الإسلاميين.

وخلال السطور القادمة سأستعرض تلك القضية الشائكة من خلال شرح أهمية الاختراق، وأنواع المصادر الأمنية، وآليات التجنيد والاختراق، وحيثيات المعلومات المرصودة، ومعايير تقييم المعلومات والمصادر. ومن ثم أجيب على سؤال هل نجاح الأجهزة الأمنية المصرية في اختراق صفوف الجماعات الإسلامية يعني أنها جماعات عميلة أو لا.

أولا أهمية الاختراق

يُعد الاختراق من أخطر أساليب جمع المعلومات، حيث يتم من خلاله متابعة نشاط عناصر الحركة، والتعرف على القيادات وأنماط تفكيرها وسماتها النفسية ومواهبها ومهاراتها المتنوعة، وأدوار الأفراد ومسؤولياتهم ، والملتزمين الجدد الذين ليس لهم ملفات أمنية، ودوائر العلاقات والمتعاطفين والداعمين، وأماكن اختباء العناصر الهاربة، والخطط المستقبلية، والمشاكل الداخلية، ونقاط الضعف والقوة، وكافة المعلومات التي قد لا يستطيع الأمن



تحديدها بدقة من خلال الأليات الأخرى لجمع المعلومات من قبيل (الاستدعاءات، أو المداهمات، أو التحقيقات، أو المراقبة) .

ويبلغ الاختراق أعلى درجات الخطورة إذا حدث في دوائر صنع القرار، إذ يُتاح للمخترق المساهمة في توجيه سياسة الجماعة بما يشل فاعليتها، ويفتت تماسكها الداخلي، ويحبط جهود تطويرها، ويلحق بها أشد الأضرار.

ثانيا أنواع المصادر الأمنية

تنقسم المصادر إلى نوعين:

أ- مصادر فنية: تنتمي عضوياً للتيارات الإسلامية، وتوفر للأجهزة الأمنية متابعة فورية ومستمرة لكافة المستجدات والفاعليات داخل الوسط الإسلامي.

ب- مصادر مكانية: لا تنتمي تنظيميا للتيارات الإسلامية، وتُنشر بين المواطنين على هيئة شبكات ميدانية تهدف للرصد المبكر لأية مؤشرات لتحركات مناهضة ضد النظام، مما يُسهل على ضباط الأمن التعامل الفوري مع أي حدث حال ظهوره أو تبلور المؤشرات الدالة عليه. وتتكون هذه الشبكات من أصحاب مهن وحرف مختلفة مثل (البوابين والسماسرة - والباعة الجائلين- والحلاقين- وسائقي سيارات الأجرة).

ثالثا أساليب تجنيد المصادر والاختراق

يعتمد ضباط الأمن في تجنيد المصادر على فهم كوامن النفس البشرية واستغلال نقاط ضعفها، فيتم انتقاء عناصر مختارة للتجنيد بعد دراسة ظروفهم الاجتماعية والمادية والنفسية. ومن ثَم تُمارس عليهم ضغوط متنوعة من قبيل استغلال ظروفهم المادية الصعبة، ووعدهم بتوفير فرص عمل لهم أو تقديم مساعدات مادية ومرتبات ثابتة، أو التهديد بكشف فضائح أخلاقية أو مخالفات مالية، أو الوعد بالإفراج عنهم من المعتقلات والسجون إذا كانوا



محبوسين، ويتم التركيز على استقطاب العناصر الإسلامية المنشقة، نظراً لتوافر نوع من العداء النفسي مع جماعاتهم السابقة، مما قد يدفعهم للانتقام وتمرير ما يملكونه من معلومات للأجهزة الأمنية. ويلاحظ حرص جهاز الأمن على منح المصادر مرتبات شهرية لضمان ولائهم، وغلق طرق التراجع أمامهم.

يتم الاختراق عادة باستعمال أحد أسلوبين:

1- **دفع عناصر تابعة للأمن للالتحاق بالتيارات الإسلامية:** حيث يختار ضباط الأمن عناصر تبدو على ملامحها سيماء الصلاح والاستقامة، ويتم دفعهم للصلاة في المساجد التي تسيطر عليها التيارات الإسلامية، وتشجيعهم على حضور الدروس الدينية والأنشطة الدعوية، مما يمهد لتكوين علاقات صداقة تجمعهم بعناصر النشاط، مما يؤدي إلى اشتراك المصادر مع الإسلاميين في أنشطتهم المختلفة.

ومن الأمثلة العملية على هذا الأسلوب - (أوردت تفاصيل الواقعة بالوثائق في كتابي: العقلية الأمنية) - حالة أحد المحكومين الجنائيين من محافظة الجيزة الذي تم تشجيعه عام 1991 على التردد على مساجد عناصر النشاط الديني بمنطقة العمرانية، ثم تم اعتقاله في عملية تمويهية، من أجل زرعه وسط عناصر تنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية داخل السجن.

2-**تجنيد عناصر تابعة للتيارات الإسلامية:** من أشهر الأمثلة على هذا الأسلوب نجاح جهاز مباحث أمن الدولة في تجنيد مسؤول الدعوة بالجماعة الإسلامية في حي إمبابة مطلع التسعينات، حيث وفر هذا المصدر معلومات مهمة عن الهيكل التنظيمي للجماعة، وخططها المستقبلية، وأماكن اختفاء العناصر الهاربة. كما كشفت وثائق جهاز أمن الدولة التي نشرها حزب الغد بمحافظة البحيرة عقب اندلاع ثورة يناير عن وجود العديد من المصادر الأمنية ضمن صفوف جماعة الإخوان المسلمين بالمحافظة.



ومع انتشار استعمال وسائل التواصل الاجتماعي نجح الأمن المصري عقب الانقلاب في تحقيق اختراقات عديدة وسط مناصري تنظيم الدولة الإسلامية، وهو ما كشفته تفاصيل القضية رقم (2015/672) أمن دولة عليا، إذ أظهرت وجود تنسيق بين أحد أعضاء تنظيم الدولة وجهاز الأمن الوطني أدى إلى توقيف ما يزيد على 120 شابا من مؤيدي التنظيم ممن تواصل المصدر معهم عبر تطبيقات وسائل التواصل الاجتماعي، كما ساعد هذا المصدر في وصول جهاز الأمن لبعض العناصر الجهادية البارزة وتصفيتها.

تحتفظ الأجهزة الأمنية لكل مصدر بملف شخصي يتضمن البيانات التالية:

البيان التصنيفي	مفردات البيان التصنيفي			
مجال التعاون	جماعة إسلامية	إخوان بالداخل	إخوان بالخارج	سلفي
أسلوب التعاون	شخصي	راتب شهري	مكافأة مالية	مكافأة عينية
أسلوب السيطرة	شخصي	أمني	مادي	-----
تصنيف المصدر	فني	مكاني	-----	-----
نوعية المصدر	متفرغ	غير متفرغ	-----	-----

رابعا حيثيات المعلومات المرصودة

يهتم الأمن في الوقائع المرصودة - من أجل الاستفادة منها بأقصى درجة وفهم أبعادها وملابساتها - بالبيانات التالية: (تاريخ الواقعة، وساعة وقوعها تحديداً، ومكانها تفصيلياً، ووقت تلقي الإخطار بالواقعة أو موعد بدء وانتهاء التحرك أو الاجتماع المخطر به، وتفصيلات



الواقعة، والعناصر المشاركة فيها، وأبعاد الواقعة، وواحتمالاتها أو تداعياتها أو ارتباطها باعتبارات الأمن السياسي أو تهديد الأمن العام).

خامسا معايير تقيم المعلومات والمصادر

لا تتعامل الأجهزة الأمنية مع كل المعلومات الواردة لها على أنها حقائق ثابتة، بل تحرص على تقييم المصادر والمعلومات وفقاً لمعايير دقيقة، وقد كشفت إحدى الوثائق الأمنية المنشورة عقب ثورة يناير عن تقسيم درجات التقيم وفقا للرموز التالية:

أ/1: في حالة التأكد من المعلومة، وموثوقية المصدر في معلوماته، علاوة على حالة المستندات أو التعامل الفني.

ب/2: في حالة تصنيف المصدر على أنه جيد، واحتمال صحة المعلومة ولكنها غير مؤكدة.

ج/3: في حالة تصنيف المصدر على أنه ضعيف، وجواز صحة المعلومة ولكنها مشكوك فيها.

سادسا هل اختراق الأمن للجماعات الإسلامية يعني أنها عميلة؟

- ما سبق يوضح أن سعي الأجهزة الأمنية لاختراق للجماعات الإسلامية أمر معتاد وطبيعي نظرا للصراع بين الطرفين، ويثبت أن تلك الجماعات ليست تابعة للأجهزة الأمنية، إذ لا تسعى الأجهزة الأمنية لاختراق الجهات التابعة لها.

ومن الجدير بالذكر أن أغلب الاختراقات المكتشفة عقب ثورة يناير لم تكن في صفوف القيادات العليا إنما كانت في دوائر تتيح جمع المعلومات. وحتى مع افتراض وصول الاختراقات إلى دوائر اتخاذ القرار، فيصعب في هذه الحالة تمرير خيارات القيادات العميلة في بقية الدائرة إن خالفت منهج وسياسة ومصلحة الجماعة، وستكون مواقفها وخياراتها محل شك وريبة واتهام.



ومن ثم فإن الضمانة من سلبيات حدوث اختراقات عليا تمثل في توسيع دائرة الشورى، بحيث يصعب على شخص أو شخصين توجيه سياسة الجماعة بعيدا عن مصلحتها، مع تجنب إهمال القرائن والمواقف المريبة. إذ لا توجد جماعة أو دولة عصية على حدوث اختراقات في صفوفها، بل حتى الأجهزة الأمنية معرضة للاختراق كما في نموذج ضابط المخابرات البريطاني "كيم فيلبي" الذي تولى مناصب أمنية رفيعة وكاد أن يصل لمنصب مدير الاستخبارات البريطانية، ثم تبين أنه جاسوس لحساب السوفييت، وكما في حالة تجسس اثنين من أبرز ضباط وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية لحساب الروس (آلدرتش آمز تم اكتشافه عام 1994، وهارولد نيكولسون تم اكتشافه عام 1996).[1]

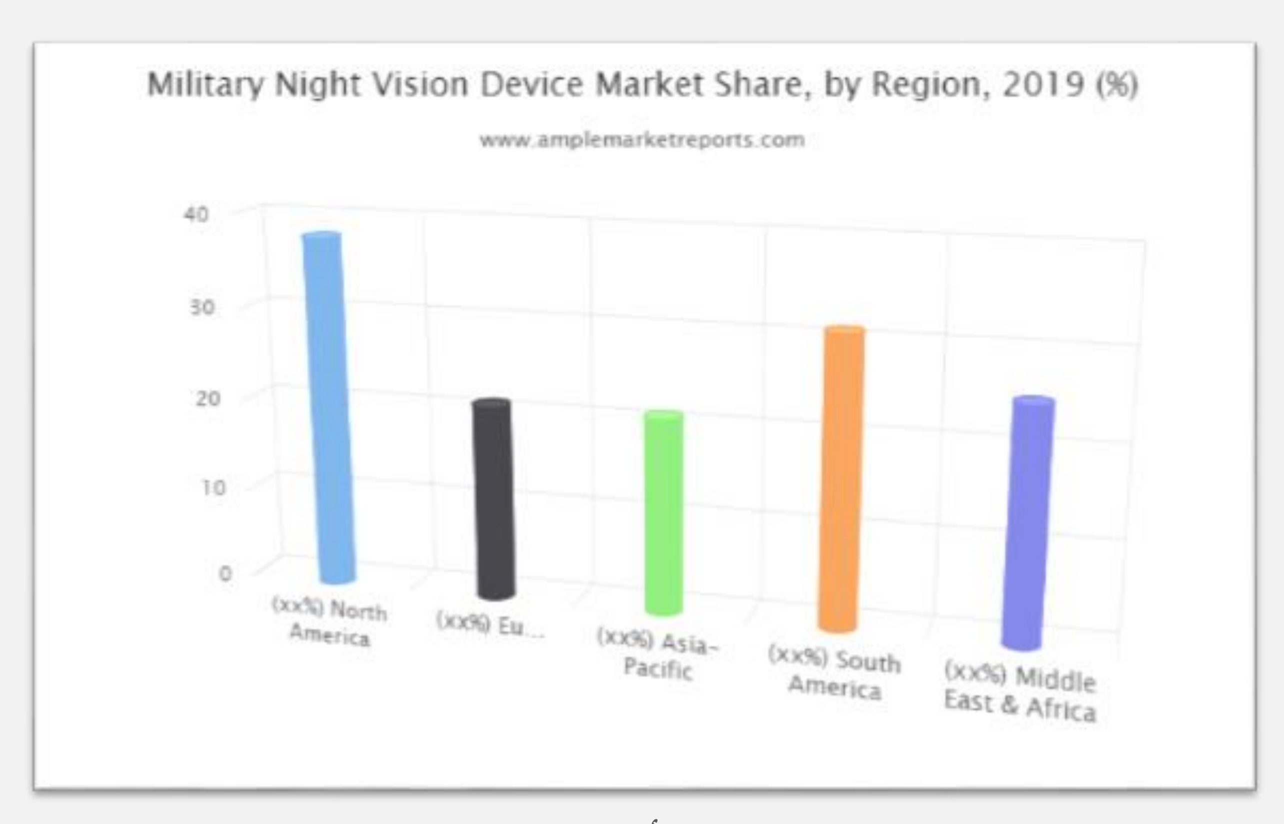
وبذلك أكون قد انتهيت من الجزء المرتبط بالاستخبارات، لأنتقل إلى الجزء الخاص بالشؤون الدفاعية. وسأستعرض خلاله أبرز الإصدارات الدورية العالمية التي تتناول التوازن العسكري وسياسات التسليح، فضلا عن المجلات الأجنبية المتخصصة الصادرة باللغة العربية في الشؤون العسكرية.

[1] - لمزيد من التفاصيل عن موضوع الاختراق انظر: أحمد مولانا - كتاب (العقلية الأمنية في التعامل مع التيارات الإسلامية).





٦ أبرز التقارير السنوية الخاصة بالتوازن العسكري عالميا



في ظل تصاعد النزاعات وتشعبها، وتوالي الأحداث وتسارعها، تزداد الحاجة للاطلاع على جديد التقارير التي ترصد التطورات المتعلقة بالأمن الدولي، والحروب والصراعات المتجددة، والقضايا المرتبطة بالإنفاق العسكري والتسلح. وهو ما يساعد على استشراف الحروب قبل وقوعها، وفهم موازين القوى بين مختلف الفاعلين عبر أنحاء العالم.

فعلى سبيل المثال: يشير تزايد النفقات الدفاعية عن الحد المعتاد لدولة من الدول، ونوعية صفقات الأسلحة التي تعقدها إلى مدى استعداداتها لخوض حرب قريبة، وإلى هوية الخصوم الذين تستعد للاشتباك معهم أو تهدف في أقل الأحوال إلى ردعهم.

فتزايد وتيرة الإنفاق العسكري الألماني، ومعدلات التسليح والتجنيد في ثلاثينات القرن العشرين أعطى مؤشرا على نية هتلر تدشين حروب واسعة النطاق في أوروبا.



وكذلك يشير شراء مصر مؤخرا لحاملتي طائرات مروحية من طراز ميسترال من فرنسا، وعدة غواصات متطورة من ألمانيا إلى استعداد مصر لخوض نزاعات بحرية ترتبط باكتشافات الغاز في البحر المتوسط، ووجود خلافات بشأن ترسيم الحدود البحرية بين مصر واليونان وتركيا. وهنا يُطرح سؤال بخصوص الأدبيات التي يمكن للحريصين على متابعة تلك المجالات الاطلاع عليها.

أبرز 3 مراكز دراسات عالمية في مجال التوازن العسكري:

يتصدر قائمة المراكز البحثية البارزة في هذا المجال:

أولا (المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، IISS)

وهو معهد تأسس في بريطانيا في عام 1958. وتشمل دراسات المعهد 7 مواضيع أساسية هي: النزاعات المسلحة، والصراع المستقبلي والأمن السيبراني، والدفاع والتحليل العسكري، والأمن الاقتصادي والطاقة، والجغرافيا الاقتصادية والاستراتيجية، والأمن والتنمية، وسياسة الحد من الانتشار النووي. وكذلك يعمل المعهد على 4 برامج رئيسة تشمل: أسيا والمحيط الهادئ، وجنوب أسيا، والشرق الأوسط والخليج العربي، والشؤون الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.

وقد صنف مؤشر المراكز البحثية الذي تصدره جامعة بنسلفانيا المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في المركز الثاني ضمن قائمة أفضل المراكز الخاصة بقضايا الدفاع والأمن القومي عن عام 2017. وللمعهد فروع في: واشنطن بأمريكا، وسنغافورة، فضلا عن البحرين التي يشرف فيها على عقد حوار المنامة، وهو مؤتمر سنوي يحضره العديد من رؤساء الدول وشخصيات رفيعة المستوى لمناقشة التطورات في الشرق الأوسط. وكذلك يستضيف المعهد منذ عام 2002 حوار (شانغريلا) السنوي في

سنغافورة. وهو مؤتمر يناقش قضايا الأمن في منطقة أسيا والمحيط الهادي، ويُعقد بحضور عدة رؤساء دول، ووزراء دفاع، وخبراء أمنيين من شتى أنحاء العالم.

ومن أهم إصدارات المعهد الدورية: (تقرير التوازن العسكري السنوي)، وهو تقرير ظهرت أول نسخة منه في عام 1959، وكانت تتناول التوازن العسكري بين الاتحاد السوفيتي وحلف الناتو. واستمر في الصدور دوريا حتى الآن. حيث يقسم التقرير العالم إلى عدة مناطق، ويتناول الصراعات العسكرية التي حدثت في كل منطقة خلال العام المنصرم باختصار، فمثلا في تقرير التوازن العسكري الصادر عام 2018، تطرق التقرير عند تناوله لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إلى العمليات العسكرية الموجهة ضد تنظيم الدولة، ومجريات الحرب في سوريا واليمن، وأزمة حصار قطر والدفاع الإقليمي بالخليج. كما تناول بقدر من التوسع السياسة الدفاعية لقطر، وبنية قواتها العسكرية، واقتصاديات الدفاع القطرية، والصناعات العسكرية القطرية. ثم استعرض التقرير بعد ذلك كافة الدول القائمة بالمنطقة من حيث تعدادها السكاني، ودخلها القومي، وأعداد الذكور والإناث فيها، وقدراتها العسكرية، والقوات الأجنبية المنتشرة على أراضيها أو بعثاتها العسكرية المنتشرة بالخارج.

ثانيا معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام (سيبري SIPRI)

هو معهد تأسس بالسويد في عام 1964 خلال ذكرى احتفال السويد بمرور 150 سنة دون خوضها لحروب. وتشمل دراسات المعهد قضايا متنوعة من قبيل: الأمن والصراعات، والإنفاق العسكري والتسلح، ومنع انتشار الأسلحة، ونقل الأسلحة ونزعها، ومراقبة استخدام الأسلحة ذات الاستخدام المزدوج، والحرب الكيميائية والبيولوجية، والمناورات العسكرية، وعمليات السلام، والتكنولوجيا. ويعتمد المعهد في دراساته على مصادر المعلومات المفتوحة. ويهدف المعهد إلى فهم الشروط المسبقة



اللازمة لإيجاد سلام مستقر، وحلول سلمية للنزاعات الدولية. وكذلك يشرف المعهد على عقد منتدى ستوكهولم للسلام والأمن.

وقد احتل معهد (سيبري) المرتبة الثالثة خارج الولايات المتحدة ضمن قائمة أفضل المؤسسات البحثية عن عام 2014 على مؤشر المراكز البحثية الذي تصدره جامعة بنسلفانيا. ومن أهم إصدارات المعهد الدورية: (الكتاب السنوي الخاص بالسلاح ونزع السلاح والأمن الدولي). وهو إصدار يُنشر بعدة لغات منها الروسية والصينية والأوكرانية.

وقد بدأ دوريا صدور النسخة العربية من الكتاب السنوي عام 2003 بالتعاون بين معهد (سيبري) ومركز دراسات الوحدة العربية. وهو ما يجعل الاطلاع عليه متاحا بسهولة للقراء باللغة العربية.

ثالثا مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية (CSIS)

هو مركز أبحاث تأسس في واشنطن عام 1962، باعتباره مركز للدراسات الاستراتيجية والدولية تابع لجامعة جورج تاون. ويعتني المركز بالقضايا الخاصة بالشؤون السياسية والاستراتيجية والاقتصادية والأمنية في أنحاء العالم، مع الاهتمام بشكل خاص بالأمور المتعلقة بالعلاقات الدولية، والتكنولوجيا، والطاقة، والتجارة. ويعنى المركز بإيجاد طرق للحفاظ على ازدهار القوة الأمريكية.

وضمت أمانة المركز عددا من كبار المخضرمين في السياسة الأمريكية والعالمية من أمثال مستشاري الأمن القومي الأمريكي سابقا: هنري كيسنجر، وزبغنيو بريجنسكي، وبرنت سكوكروفت.



ويُعنى المركز بنشر كتب ودراسات تتعلق بقضايا التسلح والإنفاق العسكري في منطقة الشرق الأوسط. وقد احتل مركز (CSIS) المرتبة الأولى عالميا ضمن قائمة أفضل المراكز الخاصة بقضايا الدفاع والأمن القومي عن عام 2017 على مؤشر المراكز البحثية الذي تصدره جامعة بنسلفانيا.

إن متابعة الدوريات الصادرة عن المراكز المذكورة سابقا، وبالأخص تقرير التوازن العسكري السنوي الصادر عن (المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، IISS) أو الكتاب السنوي الصادر عن معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام، ستكفل للمهتمين بالصراعات وقضايا التسلح متابعة جيدة للتطورات البارزة في الساحة العالمية.





الدوريات العسكرية الأمريكية باللغة العربية



وسط ضجيج الأحداث والتطورات المتلاحقة وسيل الكتب والمجلات والأخبار، قد تغيب عن المرء الكثير من المعلومات المهمة والأمور المفيدة. ومن بين تلك الأمور التي لا يعرفها سوى القليلين، وجود دوريات عسكرية أمريكية منشورة باللغة العربية. ومن أبرز تلك الدوريات:

1- مجلة يونيباث (Unipath) الفصلية، التي تصدر عن قائد القيادة المركزية الأمريكية منذ سبتمبر 2012 حتى الآن.

2- مجلة العرض العسكري (Military-Review) الصادرة عن مركز الأسلحة الموحد بالجيش الأمريكي بكانساس، والتي ظلت تصدر باللغة العربية من عام 2005 حتى عام 2011.



3- مجلة القوة الجوية والقدرة الفضائية (Air&Space Power-Journal) الصادرة عن القوات الجوية الأمريكية، والتي ظلت تصدر باللغة العربية من عام 2005 حتى عام 2013.

أولا مجلة يونيباث (Unipath)

بنهاية الحرب العالمية الثانية جرى تحويل تراكيب القيادة العسكرية الأمريكية إلى قيادات إقليمية مقاتلة، فصار اسم القوات الأمريكية المتواجدة بالقارة الأوروبية بقيادة الجنرال إيزنهاور (القيادة الأمريكية في أوروبا)، بينما صار اسم القوات المتواجدة في الشرق الأقصى بقيادة الجنرال ماك آرثر (قيادة الشرق الأقصى)، وكذلك ولدت (القيادة الأمريكية لمنطقة المحيط الهادئ) من رحم القوات التي يقودها الأدميرال نيمتز، بينما تشكلت القيادة الشمالية الأمريكية من القوات التي تتولى تأمين حدود آلاسكا والكاريبي وتخوم شمال الولايات المتحدة. وكذلك جرى آنذاك تأسيس القيادة الجوية الاستراتيجية الأمريكية. وتولت هيئة الأركان المشتركة التنسيق بين تلك القوات، مع اختصاصها بالتركيز على المنظور العالمي للصراعات.

وفي عام 1983 تم تأسيس القيادة المركزية الأمريكية لتشرف على منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وآسيا الوسطى، ثم عقب ولادة القيادة الأمريكية الأفريقية (أفريكوم) عام 2007، اقتصرت مسؤولية القيادة الوسطى على دولة مصر فقط في أفريقيا فضلا عن المناطق الأخرى التابعة لها، بينما صارت بقية الدول الأفريقية تحت إشراف أفريكوم.

وفي سبتمبر عام 2012 بدأت القيادة المركزية الأمريكية في إصدار مجلة فصلية بعنوان يونيباث (Unipath)، وصدر منها حتى يناير 2019 قرابة 31 عددا. وتصف المجلة نفسها بأنها (مجلة عسكرية مهنية ربع سنوية، ينشرها قائد القيادة المركزية الأمريكية بوصفها منبرا دوليا للعسكريين في منطقة الشرق الأوسط وآسيا الوسطى).



تتنوع مواضيع المجلة من عدد لآخر، حيث لا يوجد فيها سوى بابين ثابتين، أحدهما بعنوان (السيرة الذاتية لقائد مهم)، ويتناول السيرة الذاتية لبعض كبار الضباط المنتمين إلى دول متعاونة مع القيادة المركزية. بينما الباب الآخر بعنوان (حول المنطقة)، ويتناول المستجدات في المنطقة الجغرافية الواقعة ضمن اختصاص القيادة المركزية. وبقية المواضيع عادة تتناول قضايا الإرهاب، والمناورات والتدريبات، والتطورات العسكرية لدى جيوش المنطقة. وتتسم مقالات المجلة عادة بالبعد الإعلامي الدعائي أكثر من اتسامها بالتحليل المنهجي والعلمي الرصين.

ثانيا مجلة العرض العسكري (Military-Review)

هي دورية عسكرية رصينة بدأت في الصدور باللغة بالإنجليزية منذ عام ١٩٢٢، بهدف تبادل الآراء بين المتخصصين العسكريين والخبراء المهنيين بشأن القضايا العسكرية محل الاهتمام المشترك. وفي عام 1945 بدأت تنشر المجلة باللغتين الإسبانية والبرتغالية المنتشرتين في أمريكا اللاتينية، وذلك بالتوازي مع بروز الصراع الأيديولوجي بين الغرب الرأسمالي والاتحاد السوفيتي الشيوعي، وانتشار الأفكار اليسارية في أمريكا الجنوبية. ثم إثر غزو العراق عام 2003، وتصاعد عمليات المقاومة ضد الاحتلال الأمريكي، جرى تدشين النسخة العربية من المجلة عام 2005 تحت إشراف مركز الأسلحة الموحد بالجيش الأمريكي بهدف (التواصل والتعاون مع المؤسسات العسكرية في الدول الناطقة باللغة العربية) وفقا لما ذكرته إدارة تحرير المجلة في عددها الأول.

قدمت المجلة في أعدادها المتنوعة معالجات مختلفة شملت مفاهيم العقيدة العسكرية ومبادئ القتال، والمناورات الحربية، والقيادة والسيطرة، والاستخبارات وسلاح الإشارة والاتصالات والإعلام، وعمليات النقل والتموين، كما قدمت معالجات ميدانية مهمة لعمليات مكافحة التمرد في العراق وأفغانستان كتبها ضباط ميدانيون، فتطرقت للاستخبارات الميدانية، والدروس التكتيكية المستفادة من القتال في أفغانستان، وقدمت دراسات ميدانية لمكافحة التمرد في الحزام الباشتوني وفي قاطع شرق رشيد بالعراق،



وطرحت استراتيجيات لمكافحة العبوات الناسفة المصنعة محليا. ولم تقتصر المجلة على دراسات كتبها مختصون أمريكيون، حيث نشرت دراسات لعسكريين بريطانيين وأستراليين وعرب.

لم يستمر صدور النسخة العربية من المجلة سوى 6 سنوات، إذ توقفت عن الصدور في عام 2011 مع انسحاب معظم القوات الأمريكية من العراق بالتوازي مع اندلاع ثورات الربيع العربي، وزعمت إدارة المجلة أن توقف النسخة العربية حدث بسبب ارتفاع تكاليف الترجمة والطباعة والشحن!!.

ثالثا مجلة القوة الجوية والقدرة الفضائية

بدأت القوات الجوية الأمريكية في عام 1949 بنشر مجلة بعنوان (القوة الجوية والقدرة الفضائية) باللغات الإنجليزية والإسبانية والبرتغالية. ثم إثر غزو العراق عام 2003، وتصاعد عمليات المقاومة ضد الاحتلال الأمريكي، بدأ نشر نسخة عربية من المجلة بدعم من ضباط من سلاحي الجو البحريني والعراقي. ويلاحظ أن تاريخ بدء نشر النسخة العربية من هذه المجلة يتوافق مع تاريخ بدء نشر النسخة العربية من مجلة العرض العسكري.

اهتمت المجلة بعدة مجالات مثل التطورات في العلوم الجوية والفضائية، والاستراتيجية والتكتيك. والعقيدة والقيادة العسكرية. وأولت المجلة اهتماما خاصا بقضايا الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع ومكافحة التمرد من منظور القوة الجوية. وقد توقفت النسخة العربية عن الصدور منذ خريف عام 2013 بعد أن صدر منها قرابة 35 عدد.

الاستفادة من النسخ الإنجليزية

رغم توقف النسخة العربية من مجلة العرض العسكري، وكذلك من مجلة القوة الجوية والقدرة الفضائية، إلا أن الأعداد التي سبق صدورها بالعربية تقدم إطلالة جيدة وثرية على المدارس الغربية في العلوم العسكرية وبالأخص الحروب غير المتوازية. كما أن النسخ الإنجليزية الدورية من تلك المجلات مازالت تصدر، ومتاحة مجانا على موقعي المجلتين بشبكة الإنترنت، حيث تتضمن دراسات جادة مفيدة للمهتمين



بتلك المجالات، وتزداد أهميتها نظرا لعدم وجود مجلات تصدر باللغة العربية تتناول تلك المواضيع بذات المستوى.

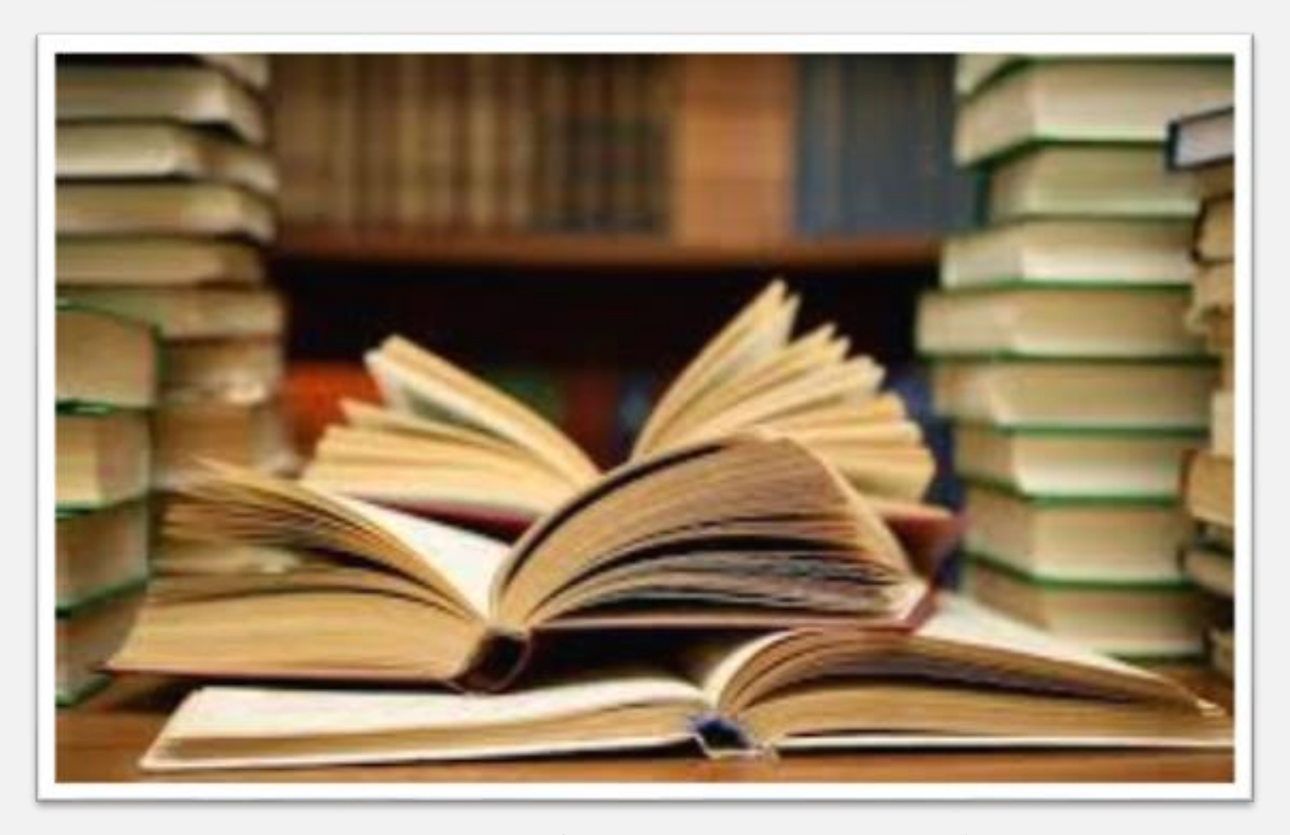
وبذلك أكون قد انتهيت من الفقرة الخاصة بالشأن الدفاعي. ونظرا لأن الاستخبارات والدفاع من القضايا المرتبطة بالسياسة. فسأتطرق في الفقرة القادمة للحديث عن برنامج سياسي مقترح لرفع الوعي، ثم أستعرض نموذجا عمليا للممارسة السياسية في منطقتنا العربية عبر تناول ثورة الشريف حسين ضد العثمانيين الشهيرة بالثورة العربية الكبرى، وخلفيات تشكل الدولة السعودية الثالثة على يد الملك عبدالعزيز بن سعود. فهذا النموذج تمتزج فيه السياسات الدولية بالتطورات المحلية، ويوضح كيف تمسك القوى الدولية بكثير من خيوط اللعبة في يدها، وكيف توظف الأطماع الشخصية للساسة لخدمة مصالحها الاستراتيجية في المنطقة.

ونظرا لأن البعض يتوهم أن الأحداث تمضي حسب إرادة القوى الكبرى فقط. فسأتطرق إلى عدم صوابية هذا الظن عبر استعراض الخط العام للأحداث خلال نصف القرن الأخير فيما يسمى بالشرق الأوسط. وكيف أن الأحداث تمضي في اتجاه مضاد لتوجهات الغرب. وفي الخاتمة أطرح رؤية لمحاور العمل الممكن العمل عليها في ظل الأوضاع القاسية الحالية.





٨ برنامج للتأهيل السياسي



المرحلة التي يمر بها العالم الإسلامي منذ اندلاع ثورات الربيع العربي حتى اليوم هي مرحلة سياسية بامتياز، ولذا تصاعد الاهتمام بمتابعة الشأن العام والمشاركة فيه بين صفوف المجتمع عموما والمنتسبين للتيارات الإسلامية خصوصا مقارنة بما كان عليه الوضع قبل اندلاع موجة الثورات.

ورغم أن المعرفة أمر تراكمي يتطور بمضي الوقت، وكثرة القراءة، وتعدد التجارب، إلا أنه نظرا لتنوع خلفيات الأشخاص وقدراتهم صار من المهم وضع برامج عملية للتأهيل السياسي. برامج لا تتسم بالتعقيد والإغراق في التنظير الأكاديمي أو التشعب بالقراءة في مئات الكتب، وهو ما يحول تلك البرامج المقترحة إلى عبء يكاد يستحيل على المرء أن ينهي أيا منها أو أن يستفيد من ثمرتها المرجوة.

وأحسب أن البرنامج الجيد والواقعي لابد أن يستند على منطلقات صحيحة ومتماسكة كي يؤتي ثمرته المرتقبة، فكم نشاهد في واقعنا المعاصر من أساتذة في العلوم السياسية ومتخصصين يفشلون في قراءة الواقع،



واستقراء الأحداث، لا لنقص في الثقافة والاطلاع أو حتى التخصص الأكاديمي، وإنما لغياب المنطلقات الصحيحة التي تمكنهم من فهم طبائع الأفراد والمجتمعات، وحركة التاريخ، وسنن الله في البشر.

وهنا يأتي الدور المهم الذي يقدمه الوحي الرباني بتوفيره للمرء حقائق خالصة مجردة تساعده على تدبر التاريخ، وفهم الواقع، واستشراف المستقبل. ففهم الواقع أساسه العقيدة والتصور الصحيح أولا. فضمن هذا الإطار تتساقط أطروحات استجداء القوى الكبرى، والجماعة الوطنية، والإخوة الإنسانية أمام قوله تعالى (إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء، ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون).

ومن ثم فلابد أن يشمل أي برنامج جاد للتأهيل السياسي لكوادر الحركة الإسلامية عدة محاور منها ما يلي:

1- بيان أن الحياة تقوم على الابتلاء، والصراع بين الإنسان والشيطان، والتدافع بين أهل الحق وأنصار الباطل.
2- بيان المعالم الإجمالية للنظرية السياسية الإسلامية والنظرية السياسية الجاهلية.
3- بيان أسس ومعالم علم السياسة الشرعية.
4- بيان أبرز الأيديولوجيات والمدارس السياسية الغربية وأطروحاتها. وتطورات السياسة الدولية خلال القرنين الماضيين.
5- بيان أبرز المنظرين السياسيين الغربيين.
6- بيان أبرز المراكز البحثية التي يحتاج المرء إلى متابعة جديد دراساتها في القضايا محل الاهتمام.
7- التأكيد على متابعة الأخبار والمستجدات اليومية عبر النشرات والمواقع الإخبارية، وملفات الأخبار الأسبوعية التي تعدها بعض المراكز البحثية.

وفي هذا المقال سأضع مقترحين على الأكثر تحت كل محور، وهي اقتراحات غير ملزمة بطبيعة الحال، ولكن أحسب أنها ستمثل إضافة للمهتمين بتطوير وعيهم السياسي.



1- محور التدافع والصراع:

أ- الفصل الأول والثاني من كتاب (عندما ترعى الذئاب الغنم-الجزء الأول) للشيخ رفاعي سرور، ففيهما كلام مبدع يتناول الصراع بين الإنسان والشيطان بكافة أبعاده المحورية والتاريخية والواقعية.

ب- كتيب (أصحاب الأخدود) للشيخ رفاعي سرور، ويتناول فيه أحد نماذج التدافع بالتحليل بعد تجريد هذا النموذج من عوامل الزمان والمكان، مما يجعله يقدم خلاصات مهمة تفيد الإنسان بغض النظر عن الفترة التاريخية التي يحيا فيها.

2- المعالم الإجمالية للنظريتين السياسيتين الإسلامية والجاهلية:

أ- كتاب (التصور السياسي - الطبعة الأخيرة) للشيخ رفاعي سرور، وهو كتاب فذ في بابه، لكنه يحتاج إلى تركيز شديد، واطلاع على كتب أخرى سابقة للشيخ، مثل حكمة الدعوة، لفهم بعض المضامين المجملة في كتاب التصور.

ب- كتاب (الحرية أو الطوفان)، للدكتور حاكم المطيري.

3- أسس ومبادئ علم السياسة الشرعية:

أ- رسالة (مبادئ السياسة الشرعية)، للشيخ أشرف عبد المنعم، ونتوافر منها سلسلة دروس صوتية تبلغ 17 درسا.

ب- مفاتيح السياسة الشرعية، للباحث إبراهيم السكران.

4- المدارس السياسية الغربية وأطروحاتها:

أ- كتاب (مدخل إلى الأيدولوجيات السياسية)، لأندرو هيود.



ب- كتاب (نظريات العلاقات الدولية- التخصص والتنوع)، لمجموعة من المؤلفين الغربيين، وهو صادر عن المركز العربي للدراسات السياسية والإنسانية، وهو كتاب أكاديمي متميز في مجال العلاقات الدولية.

ت- كتاب (تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين)، لمحمد السيد سليم- طبعة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة.

5- **نماذج لبعض أبرز المنظرين السياسيين الغربيين، وأطروحاتهم:**

أ- كتب زبيجنيو بريجنكسي، وهو رائد المدرسة السياسية الواقعية الأمريكية، ومستشار سابق لمجلس الأمن القومي الأمريكية، وكتبه مفيدة للغاية مثل كتاب (رؤية استراتيجية - أمريكا وأزمة السلطة العالمية).

ب- كتاب (صدام الحضارات)، لصمويل هنتجتون، وهو كتاب أثار ضجة وجدلا كبيرا، ولكنه ثري ومفيد.

6- **أبرز المراكز البحثية:**

خلال السنوات الأخيرة انتشرت ظاهرة تدشين مواقع باللغة العربية لبعض أكبر المراكز الأجنبية، تُنشر عليها دراسات ومقالات مترجمة في مواضيع شتى. ومن أبرز هذه المراكز الأمريكية مركز راند، وبروكنجز، وكارنيجي. وكذلك مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة (مقره بدولة الإمارات). فمتابعة الدراسات والمقالات الجديدة في القضايا محل الاهتمام ستفيد كثيرا.

7- **متابعة المستجدات اليومية:**

من الضروري لأي مهتم بالشأن العام والسياسي أن يتابع الأخبار اليومية والمستجدات عبر المواقع والقنوات الإخبارية، وأن يمتلك القدرة على تمييز الأخبار الصحيحة من الزائفة، والتحليلات الوهمية، وستساعده في هذا المحاور السابق ذكرها، فمن يفهم النظرية السياسية الجاهلية مثلا،



سيستطيع التمييز بين ما يمكن أن تفعله الجاهلية وما لا يمكن أن تفعله، وسيفهم أنماطها الإعلامية. وكذلك يمكن الاستفادة من الملفات الإخبارية اليومية التي تصدرها بعض المراكز البحثية مثل المعهد المصري للدراسات، أو الملفات الأسبوعية مثل ملف (نظرة على الجهاد العالمي)، الذي يصدره مركز مئير عميت الإسرائيلي للمعلومات عن الاستخبارات وشؤون الإرهاب.



٩ خدعة القرن

الثورة العربية الكبرى وفقا لوثائق الأرشيف البريطاني

تمثل وثائق الأرشيف البريطاني المرفوع عنها السرية كنزا تاريخيا يشرح خلفيات الأحداث الكبرى التي وقعت في قلب العالم الإسلامي، ويوضح كيفية تشكل خارطة المنطقة مطلع القرن العشرين.

أولا لماذا حرّض الإنجليز الشريف "حسين" على الثورة ؟

مثّل دخول تركيا الحرب العالمية عام 1914 بجوار ألمانيا خطرا كبيرا على مصالح بريطانيا، عبرت عنه بوضوح مذكرة استراتيجية أعدتها الدائرة السياسية البريطانية في وزارة الهند قائلة: إن المخاطر تمثل في (الخوف من ثورة المسلمين بمصر والهند ضد الوجود البريطاني، وإحياء فكرة الوحدة الإسلامية مجددا)،



ومن ثم أوصت المذكرة بقطع دابر تلك المخاطر عبر إضعاف الحكومة المنظمة الوحيدة القادرة على إعطاء زخم لفكرة الوحدة الإسلامية آنذاك، ألا وهي الحكومة التركية.

بدأ الإنجليز مبكرا في مراسلة شريف مكة "الحسين بن علي"، لتشجيعه على الثورة ضد الوجود التركي بالحجاز واعدين إياه بمنصب الخليفة، وفي ٣٠ أغسطس ١٩١٥ أرسل المندوب السامي البريطاني في مصر "مكماهون" إلى الشريف رسالة تحريضية قائلا له (إن جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة إلى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة). وأخذ "مكماهون" يخاطب "الشريف" بألفاظ التعظيم، فراسله في10 مارس 1916 قائلا: (إلى ساحة ذلك المقام الرفيع ذي الحسب الطاهر والنسب الفاخر، قبلة الإسلام والمسلمين، معدن الشرف وطيب المحتد، سلالة مهبط الوحي المحمدي الشريف ابن الشريف، صاحب الدولة السيد الشريف "حسين بن علي" أمير مكة المعظم، زاده الله رفعة وعلاء).

استجاب الشريف للإغراءات، وأعلن الثورة على العثمانيين في 10 يونيو عام 1916، مما أسعد "مكماهون"، الذي أرسل إلى وزارة الخارجية بلندن في 14 اغسطس 1916 قائلا: (إن لدينا فرصة فريدة قد لا تسنح مرة أخرى في أن نؤمّن بواسطة الشريف نفوذا مهما على الرأي العام الإسلامي والسياسة الإسلامية، وربما نوعا من السيطرة عليهما).

أمدت بريطانيا الشريف بالمال والسلاح، ففي خلال العام الأول فقط من ثورته أعطته 71 ألف بندقية وأكثر من أربعين مليون طلقة، بل وأرسلت إلى نجلي الشريف (فيصل وعلي) ألف سيجارة لكونهما المدخنين الوحيدين في عائلتهما.

كما عززت بريطانيا جيش الشريف بأعداد كبيرة من الأسرى العرب التابعين للجيش العثماني، وفي رسالة طريفة نصح الدبلوماسي البريطاني "سايكس" الجنرال "كلايتون" في أكتوبر 1917 بالتوجه لمعسكر الأسرى العرب ليخطب فيهم قبل التحاقهم بالشريف قائلا: (هل من واجبي أنا الإنجليزي أن أذكركم بآل بيت علي ومعاوية والعباس، بالأولياء والأبطال الذين صنعوا أمجاد العرب في العالم، بالتأكيد إن ضمائركم تقول لكم ذلك. ولكنني كرجل إنجليزي سأقول لكم التالي: إن إمبراطوريات العرب دمرت وجعلت تراباً بالخلافات والتكاسل، وإن نير الترك كبّل أعناقكم 900 عام لأنكم اتبعتم أهواءكم.. ولم



تكونوا متحدين أبداً. والآن بيدكم الفرصة التي إذا أضعتموها فلن يغفر الله لكم ..إن من الأفضل أن يكون المرء طاهياً في السرية العربية من أن يكون وزيراً خاضعاً للأتراك).

واعتبر الإنجليز أن من إيجابيات انحياز الشريف لهم: (رفضه إعلان الدعوة للجهاد ضد بريطانيا، وتحجيمه النفوذ التركي بالحجاز، وحيلولته دون تجميع المتطوعين للقتال في صفوف الجيش العثماني، وإيقافه مخطط إمام اليمن لمهاجمة المستعمرة البريطانية في عدن..) وميدانيا تمكن جيش الشريف من السيطرة على الحجاز، كما تمكن جيشه الشمالي بقيادة نجله "فيصل" من دخول دمشق بالتنسيق مع الجيش البريطاني.

ثانيا أحلام الشريف وخدعة القرن

عاش الشريف أحلاما وردية مصدقا أن بريطانيا ستهبه حكم الجزيرة العربية والعراق والشام وفلسطين، حتى إن نجله فيصل عندما قال له: (ماذا ستفعل إذا افترضنا أن بريطانيا العظمى لم تنفذ الاتفاق في العراق)، احتد عليه الشريف قائلا: (ألا تعرف بريطانيا العظمى؟ إن ثقتي بها مطلقة).

وفي فترة مبكرة حرصت بريطانيا وفرنسا على جس نبض الشريف، فقابله الدبلوماسيان البريطاني "سايكس" والفرنسي "بيكو" في 24 مايو 1917، ليستطلعا رأيه بخصوص مدى قبوله لسيطرة فرنسا على سوريا، فأجابهما قائلا: (إنه لا يمكنه أن يكون طرفاً في عمل يرمي إلى تسليم مسلمين لحكم مباشر من قبل دولة غير إسلامية).

وجدير بالذكر أن بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية قد تقاسموا تركة الدولة العثمانية بينهم في اتفاقية (سايكس بيكو) عام1916، وحرص "سايكس" في برقية أرسلها إلى وزارة الخارجية بلندن في 17 مارس 1916 على التوصية بكتمان بنود الاتفاقية عن زعماء العرب.

وجاءت الرياح بما لا تشتهي السفن، إذ اندلعت ثورة البلاشفة الروس في أكتوبر 1917، ونشر البلاشفة الوثائق السرية التي عثروا عليها في مقر وزارة الخارجية الروسية بالعاصمة "بتروجراد" ومن بينها اتفاقية (سايكس بيكو) فوصلت أنباء الاتفاقية إلى الشريف، فبادر للاستفسار عن حقيقة الأمر، وهو ما شرحه المندوب السامي البريطاني "وينجت" في رسالة إلى وزير خارجيته في 16 يونيو 1918 قائلا: (إن ملك



الحجاز.. قد أرسل برقية شديدة إلى وكيله موعزاً إليه بالقيام بتحقيقات عن الاتفاق "البريطاني الفرنسي" ونطاقه. ولابد أنك تتذكر أن الملك لم يُبلغ قط باتفاقية "سايكس - بيكو" بصورة رسمية. نصحت الوكيل أن يقول إن البلاشفة وجدوا في وزارة خارجية "بتروجراد" سجلاً لمحادثات قديمة وتفاهم مؤقت وليس معاهدة رسمية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا).

وصدق الشريف تبريرات الإنجليز، بل وهنأهم بكل سذاجة على سيطرتهم على القدس قائلا: (إن هذا النبأ مستلزم للفخر العظيم)، ظنا منه أن المدينة ستدخل ضمن نطاق مملكته المنشودة.

وعقب انتهاء الحرب احتلت الجيوش الفرنسية سوريا، وطردت منها "فيصل" نجل الشريف، كما فرضت بريطانيا الانتداب على فلسطين، وبدأت في توطين اليهود، فرفض الشريف "حسين" تلك الاجراءات، وامتنع عن التوقيع على معاهدة فرساي، فتخلت عنه بريطانيا، ووجهت دعمها كله لأمير نجد "عبد العزيز بن سعود" الذي اجتاح الحجاز عام 1924، مما اضطر الشريف الى الهرب إلى العقبة، ليجبره الإنجليز على مغادرتها ليعيش في منفاه الإجباري بقبرص. ولتتحقق استراتيجية بريطانيا التي عبر عنها مدير الاستخبارات العسكرية البريطانية بالقاهرة قائلا في فترة مبكرة عام 1916: (إن هدف الشريف هو تأسيس خلافة لنفسه.... نشاطه يبدو مفيدا لنا لأنه يتماشى مع أهدافنا الآنية، وهي تفتيت الكتلة الإسلامية، ودحر الإمبراطورية العثمانية وتمزيقها.. إن العرب هم أقل استقرارا من الأتراك، وإذا عولج أمرهم بصورة صحيحة فإنهم يبقون في حالة من الفسيفساء السياسية، مجموعة دويلات صغيرة يغار بعضها من بعض، غير قادرة على التماسك.. وإذا تمكنا فقط أن ندبر جعل هذا التغيير السياسي عنيفا، فسنكون قد ألغينا خطر الإسلام بجعله منقسما على نفسه).[1]

[1] – المصادر: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز) –ترجمة "نجدة فتحي صفوة) –المجلدان الثاني والثالث –ط. دار الساقي.



١٠ العهود المغدورة

السياسة السعودية في الأرشيف البريطاني

تكشف وثائق الأرشيف البريطاني - المرفوع عنها السرية - الكثير من التفاصيل المهمة عن حيثيات نشأة الدولة السعودية الثالثة مطلع القرن العشرين.

فقبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى كانت الجزيرة العربية تخضع شكليا لنفوذ الدولة العثمانية، وتتواجد في المدينة المنورة حامية تركية تشرف على تأمين خط سكة حديد الحجاز، بينما تتقاسم القبائل والعائلات



النفوذ الفعلي والسيطرة على الأرض، فالأشراف يحكمون الحجاز، وآل سعود يحكمون نجد، والأدارسة يحكمون عسير، وآل رشيد يحكمون حائل والجوف.

أولا بداية العلاقات السعودية البريطانية

حرصت بريطانيا في تلك الآونة على استقرار الدولة العثمانية، وتجنبت إقامة علاقات خاصة مع زعماء المناطق الخاضعة للنفوذ العثماني، وهي السياسة التي تغيرت مع اندلاع الحرب العالمية الأولى.

سعى أمير نجد (عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود) إلى فتح خطوط تواصل مع بريطانيا، فقابل في أبريل عام 1911 المعتمد السياسي البريطاني بالكويت الكابتن شكسبير، الذي دون في تقرير مطول بعثه لقياداته مجريات اللقاء قائلا: (لم يظهر ابن سعود ولا إخوته أي أثر من روح التعصب التي كان يمكن توقعها من الأسرة الوهابية الحاكمة... وحينما أخذ عبد العزيز يسألني عن رأيي في العلاقات بين بريطانيا وتركيا، قلت فورا: إني لم آت لبحث الشؤون السياسية، إنما كي أرى كيف يعيش زعماء العرب في البادية، كما أنني لست مخولا للبحث في السياسة معه، وإن حكومة صاحبة الجلالة لا تتدخل في شؤون البلاد العربية الوسطى الخاضعة للنفوذ العثماني، وتحصر اهتمامها في مصالحها على خط الساحل.

فقال عبد العزيز: إنه يفهم موقفي تماما، ولكنه يكون شاكرا إذا سمعت ما يريد قوله، وإذا رغبت بعد ذلك في إبداء آرائه لرؤسائي فذلك من شأني). وتمثلت مقترحات ابن سعود في رغبته بدعم بريطانيا له في مواجهة الأتراك الذين يعززون قواتهم عبر ساحل الإحساء، مما يعيقه عن إعلان التمرد عليهم قبل الحد من قدرتهم على جلب الجنود بحرا. ومن ثم تكررت لقاءات ابن سعود مع شكسبير.

ثانيا ولاء ابن سعود الشكلي للعثمانيين

في ذات الوقت الذي كان ابن سعود يجس فيه نبض البريطانيين ويطلب دعمهم، كان يوطد علاقته مع العثمانيين، فأرسل مطلع عام 1914 إلى صديقه "طالب النقيب" المقرب من الأتراك قائلا: (سررت

كثيرا بتسلم خطابكم الذي تعبرون فيه عن ولائكم للحكومة العلية، وهو الولاء الذي أشاركم إياه، وكما تعلمون يا أخي فإنني أول من أرجو الخير للحكومة والبلاد).

وقع ابن سعود في 15 مايو 1914 معاهدة مع العثمانيين نصت على توليه منصب (والي نجد) طيلة حياته، ووراثة أولاده للمنصب من بعده، وعلى أن الدولة العثمانية متى دخلت في حرب مع دولة أجنبية أو إذا حدث اضطراب داخلي في أي من ولاياتها، وطلبت منه ارسال قوة دعم، فعليه توفير تلك القوة مع كامل أسلحتها ومؤنها.

لم يفت ابن سعود قبل التوقيع على المعاهدة أن يأخذ رأي الإنجليز سرا، فأرسل في ٢ أبريل ١٩١٤ إلى المعتمد السياسي البريطاني بالبحرين "تريفور" قائلا: (تسلمت معلومات من المبعوث التركي "عمر بك مارديني" الذي وصل من القسطنطينية مباشرة.. ولم أحب أن أراه حتى أخبركم لكي تعلموني بالمطلوب وبأي شكل يكون).

ثالثا تقلبات الحرب العالمية الأولى

عندما لاحت بوادر مشاركة الدولة العثمانية في الحرب، كتب السير "ماليت" سفير بريطانيا بالقسطنطينية إلى وزير خارجيته "إدوارد جراي" بتاريخ ٤ سبتمبر ١٩١٤ قائلا: (أوافقكم على أنه إذا تحالفت تركيا مع ألمانيا وأصبحت الحرب محتومة، فمن المحتمل أن يصبح من أهم الأسلحة دعم وتنظيم حركة عربية.. يجب أن يوجهها ابن سعود.. بالتعاون مع أصدقائنا من زعماء العرب). ووقعت الحرب بالفعل، وصار ابن سعود الرجل المفضل في الجزيرة العربية بالنسبة لحكومة الهند التابعة للتاج البريطاني بينما صار "الشريف حسين" الرجل المفضل لدار المندوب السامي بمصر.

انقلب والي نجد (ابن سعود) على العثمانيين، فسجن ضابطا تركيا أوفدته حكومة الباب العالي إليه لتدريب قواته، كما اعتقل 4 علماء أرسلتهم السلطات التركية إليه للدعوة في نجد إلى الجهاد ضد الإنجليز، وأرسل إلى القنصل البريطاني العام بالخليج "بيرسي كوكس" في نوفمبر 1914 قائلا: (إنني واحد من أكبر أعوان حكومة بريطانيا العظمى التي ستحصل بعون الله مني على نتائج مرضية). كما شن ابن سعود حربا ضارية



ضد آل رشيد الموالين للعثمانيين، وقُتل الكابتن شكسبير في تلك الحرب عام 1915 أثناء تواجده مع الجيش السعودي.

رابعا موقف ابن سعود من الثورة العربية الكبرى

عندما أعلن الشريف حسين ثورته ضد الأتراك انطلاقا من الحجاز في يونيو 1916، سارع ابن سعود في 20 يوليو إلى إرسال رسالة لبرسي كوكس قائلا فيها: (نصيحتي أن تساعدوا الشريف بشكل جزئي، لكي يبقى لدى الأتراك أمل في القضاء عليه، ويبقى هو أيضا خائفا من الأتراك، وهكذا سيصبح الأتراك محرجين جدا في الحجاز، وسيساعدكم هذا على عملكم في العراق وأماكن أخرى).

وبالرغم من مضمون الرسالة السابقة التحريضية ضد الشريف حسين، إلا أن ابن سعود أرسل إلى الشريف رسالة في أغسطس 1916 قائلا: (تعلمون سيادتكم أن كل شيء ثابت على أساسه، وأن أساس الدين والدنيا هو الصدق.. لقد ثبت لدي أن هدف الأتراك الوحيد هو تدمير الإسلام والمسلمين وخاصة العرب، ولذلك علينا أن نكون صادقين إزاءك وأن نتعاون معك في كل الأحوال).

كما أرسل ابن سعود رسالة إلى الشريف (عبد الله بن الحسين) في أكتوبر 1916 يهنئه فيها بالسيطرة على الطائف قائلا: (كل من يحمل الحماسة الدينية من العرب يجب عليه أن يعمل قصارى جهده لمحاربة الأتراك وحلفائهم، لأنهم أخطر عدو للعرب والمسلمين... أعاهدك بالله أنني معك بكل قوتي وقلبي، ولا أخفي عنك أي شيء، والله شاهدي).

خامسا الخداع البريطاني

رغم رسائل ابن سعود المتعددة للإنجليز، والتي توضح كراهيته للشريف حسين، إلا أنهم حرصوا على تلطيف الأجواء بين الرجلين، فأرسل القنصل البريطاني بجدة (ويلسون) رسالة في نوفمبر 1916 إلى الشريف حسين متحدثا فيها عن دعم ابن سعود لثورته، ومؤكدا: (أن حكومة بريطانيا حريصة جدا على أن يدعم جميع الشيوخ العرب القضية العربية الشريفة). ومن ثم أرسل الشريف حسين رسالة ودية إلى



ابن سعود قائلا: (أرسلت لك كل ما طلبته من مال... علينا أن نوجه عملنا لهدف واحد، لأن كلينا حليفان وصديقان حقيقيان للحكومة البريطانية التي هي الصديق الحقيقي للعرب).

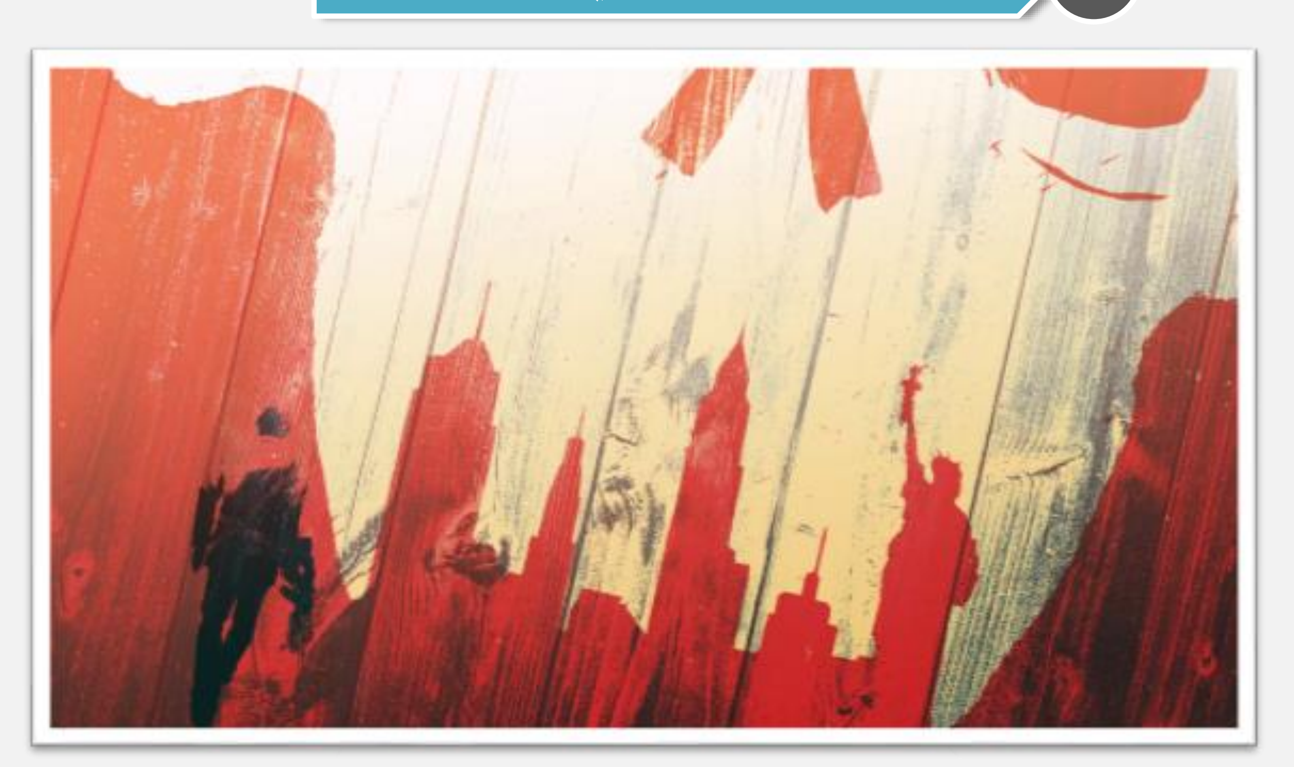
سادسا ترجيح كفة ابن سعود على الشريف حسين

عقب انتهاء الحرب العالمية طالب "الشريف حسين" بحكم (الدولة العربية الكبرى) التي وعدته بها بريطانيا، وتصور أنها ستشمل الحجاز والشام والعراق وفلسطين، ورفض التوقيع على معاهدة فرساي، ولم يوافق على فرض الانتداب على فلسطين، فتنكرت له بريطانيا، وسمحت لعبد العزيز ابن سعود بالتمدد والقضاء عليه، ليؤسس نواة الدولة السعودية الثالثة التي عبر عن أهميتها المعتمد السياسي البريطاني بالبحرين "الميجور ديكسن" في أغسطس ١٩٢٠ قائلا: (جزيرة عرب وسطى قوية يحكمها ابن سعود، وهو مرتبط بأشد العلاقات الودية مع الحكومة البريطانية، تكون ملائمة للسياسة البريطانية كل الملائمة، إنها ستحسم الكثير من المصاعب، وفي الوقت نفسه تجعل كل الدويلات الساحلية معتمدة علينا أكثر مما هي عليه الأن. الكويت والبحرين والساحل المهادن وعمان والحجاز وحتى سوريا سوف تعيش كلها في هلع من جارها القوي، وتكون أكثر انصياعا لرغبات حكومة الجلالة مما هي عليه اليوم.. إن طريقة العربي هي أن يعيش على تحريض جيرانه الأقوياء بعضهم ضد بعض. وفي نفس الوقت إذا لم يستطع القيام بذلك، فعليه أن يستند إلى دولة حامية قوية للالتجاء إليها، وإذا أصبح ابن سعود قويا جدا في جزيرة العرب، فإن النفوذ البريطاني يزيد زيادة عظيمة بين الدول الساحلية) [1].

[1] - **المصادر**: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز) –ترجمة "نجدة فتحي صفوة) –المجلدات: الأول والثاني والثالث والخامس –ط. دار الساقي.



١١ التغيير الاستراتيجي المرتقب



من يغيرون الواقع هم من يقرأون المشهد قراءة دقيقة، ويستشرفون المستقبل وفقا للسنن الكونية وحقائق التاريخ، ويزرعون الأمل حين يزرع غيرهم اليأس، ويعملون حين يقعد الآخرون، ويواجهون حين يعتبر غيرهم الاستسلام حكمة. وإن المتأمل للتطورات التي مر بها العالم خلال العقود الأربعة الأخيرة، سيدرك أنه في مطلع كل عقد تقريبا تقع أحداث استراتيجية تغير من معادلات القوى، وهو ما أدى إلى انتقال الصراع من أطراف العالم الإسلامي إلى قلبه. ومن كونه يدور حول مجرد وجود الإسلاميين في المشهد إلى تهديده لبقاء الأنظمة الاستبدادية.

أولا مطلع الثمانينات:

ففي العام 1979 قام الاتحاد السوفيتي بغزو أفغانستان، ليغرق في مستنقع استنزفه بشدة لمدة عشر سنوات، مما أثر على تماسك الإمبراطورية السوفيتية، بالتوازي مع تحول الساحة الأفغانية لساحة صراع (إسلامي شيوعي) بدعم غربي، وواكب ذلك مقتل الرئيس المصري أنور السادات عام 1981 مما أدى لنمو التيارات الجهادية المصرية، وسفر بعض قادتها هربا من الملاحقات إلى أفغانستان، ليحدث تمازج بينهم وبين آخرين أسفر عن تداعيات مستقبلية استراتيجية شديدة الخطورة.

ثانيا مطلع التسعينات:

بحلول عام 1990 حدث تغير استراتيجي جوهري بسقوط حائط برلين، وتفكك الاتحاد السوفيتي، وتربع أمريكا على رأس الدول الكبرى دون منازع ليتم تدشين النظام العالمي الجديد أحادي القطب، وبالتوازي مع ذلك قام الرئيس العراقي السابق صدام حسين باجتياح الكويت، مما أدى إلى تشكيل تحالف دولي بقيادة أمريكا، نجح في استعادة الكويت، وحصار العراق، مع بقاء القوات الأمريكية لأول مرة في قواعد عسكرية دائمة بالخليج العربي. وقد أدى تحطم الجيش العراقي مع سابقة عقد مصر لاتفاقية كامب ديفيد، إلى ميل كفة ميزان القوة الإقليمية بشدة لصالح إسرائيل، وبالتالي تم لاحقا تدشين اتفاقيات مدريد وأسلو التي تضمنت الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود. ليمثل عقد التسعينات بجلاء عقد الهيمنة الأمريكية والتراجع والتفكك العربي.

ثالثا مطلع الألفية الثالثة:

إن القمع الإسرائيلي، وفشل اتفاقيات السلام في استعادة أي من الحقوق التاريخية بفلسطين، بالتوازي مع تدنيس شارون للمسجد الأقصى، قد أدوا إلى اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام 2000، لتعود فلسطين إلى قلب الصراع بالمنطقة مجددا، ثم سرعان ما وقعت هجمات سبتمبر 2001، والتي هي نتاج



تطورات العقود السابقة من انتعاش للتيارات الجهادية بأفغانستان، وتفرد أمريكا بقيادة العالم بعد تفكك الاتحاد السوفيتي وحرب الخليج عام 1990، ودعم أمريكا المطلق للسياسات الإسرائيلية، وتلا تلك الهجمات قيام الرئيس جورج بوش بتنفيذ أجندة المحافظين الجدد، فغزا العراق عام 2003 تحت ذريعة الحرب الاستباقية، وحيازة العراق لأسلحة دمار شامل لم يعثر عليها حتى اليوم، ومكافحة الإرهاب رغم أن العراق لم تكن له علاقة بأحداث سبتمبر من قريب أو بعيد. وأدى الغزو الأمريكي إلى نتائج خارج الحسبان، إذ تعرضت أمريكا للاستنزاف العسكري والاقتصادي، وتآكلت هيبتها، وفقدت بريقها الأخلاقي، كما سقط النظام العراقي الذي مثل سدا أمام تمدد إيران التي استغلت الفرصة لبسط نفوذها الإقليمي بالمنطقة.

رابعا العقد الأخير (2010):

أسفر قمع أغلب الأنظمة العربية لشعوبها عن اندلاع مفاجئ لثورات الربيع العربي، بدءا من تونس 2010، مرورا بمصر وسوريا واليمن وليبيا عام 2011، لتزول عن مقاعد الحكم شخصيات من الوزن الثقيل ظن البعض أنها لن تزول إلا عقب توريثها الحكم لأولادها كما في حالة مبارك والقذافي وعلي عبد الله صالح، ثم سرعان ما جاءت موجة الثورات المضادة برعاية إقليمية ودولية لتكشف عن كل ما هو قبيح، فسقط القناع عن الوجه الإيراني وعن حزب الله بدعمهما المطلق لنظام بشار ومجازره ضد الشعب السوري، وسقط القناع الديني عن السياسة السعودية التي دعمت بشكل فج الانقلاب العسكري بمصر ومارست انتهاكات واسعة باليمن، أما الإمارات فكان لها نصيب الأسد في دعم كل الثورات المضادة وصولا للمساهمة في دعم محاولة الانقلاب العسكري الفاشلة بتركيا، وتزّعم حصار قطر.

وحتى في صف الفواعل من غير الدول كالجماعات والتيارات الإسلامية انكشف الكثير مما لم يكن ظاهرا، فانكشفت تيارات الغلو كما في نموذج تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وانكشفت تيارات العمالة والتبعية كما في نموذج التيار المدخلي بليبيا، وحزب النور بمصر. كما ظهر للعيان ضعف وجمود وعدم



أهلية كثير من قادة الحركات الإسلامية، وكل هذه الأمور رغم ثقلها على النفوس وفداحة ثمنها، إلا أنها مثلت مكتسبات مهمة، فقد تميز الصديق من العدو، وتبينت مكامن الخلل ونقاط الضعف.

من المؤكد أن ثورات الربيع العربي مثلت تهديدا حقيقيا للأنظمة الاستبدادية ولشبكات المصالح التابعة لها، فواجهها هؤلاء بثورات مضادة أثمرت منظومات حكم أشد قمعا وفشلا، مما يجعل تحلل هذه الأنظمة السلطوية مسألة وقت، فهي تسير ضد حركة التاريخ، وتتفكك وتتهاوى بأفعالها الذاتية فضلا عن أفعال وجهود خصومها.

إن الأحداث السابق ذكرها تؤكد أن الحياة تقوم على التداول، وأن الباطل مصيره الزوال، وإن واجبنا يتمثل في الإعداد للتغيير القادم الوشيك، لا اليأس من حدوثه، كي نستثمر الفرص المستقبلية ولا نضيعها مثلما ضاعت أخواتها سابقا.



١٢ رؤية للعمل



مع اشتداد موجة الثورات المضادة التي ضربت بلدان الربيع العربي، وتبجح الأنظمة الاستبدادية ببلاد العالم الإسلامي في ممارسة المزيد من تبديد الثروات، وتدمير المقدرات، والبطش بكل من يعترض على سياساتها. صار أبرز سؤال يطرحه المهتمون بأمر الأمة: ما العمل؟ وماذا نفعل؟!

وهنا سأحاول رسم المحاور الأساسية لرؤية مقترحة يمكن العمل عليها. وتلك المحاور هي:

1- صناعة الوعي.

2- التطوير الذاتي والمبادرة الفردية.



3- تنسيق وتوحيد الجهود لا الجماعات.

أولا - صناعة الوعي

في ظل أجواء التراجع والانكسار تروج أطروحات الاستسلام، فالبعض يرى شراسة الأعداء، والثمن الضخم الذي تدفعه الشعوب المسلمة طلبا للتحرر، فييأس من إمكانية التغيير، ويدعو للاستسلام باعتباره أخف الأضرار. بينما يطرح آخرون أطروحات انسحابية تتمثل في الدعوة للاهتمام بقضايا فلسفية وفكرية بعيدة عن لب المعركة، واعتزال أي صراع مع الأنظمة، فهذا أحفظ للأرواح، وأبعد عن استثارة الخصوم والأعداء.

هذه الأطروحات في الحقيقة تهدر كافة مكتسبات حقبة الربيع العربي، والتي من ضمنها اتضاح خريطة الخصوم، ومكونات الصف الإسلامي نفسه، وواقع الأمة عموما، وانحيازات كل طرف، وأهدافه الحقيقية. ولذا فمن المهم في هذه المرحلة دحض تلك الأطروحات، والحفاظ على الوعي الذي تكون بمشقة وثمن باهظ خلال الأحداث، وتغذيته دائما، ومنع الردة للخلف إلى وضع كنا نثق فيه بخصومنا مثلما كان الموقف في مصر تجاه الجيش قبل الانقلاب، أو نرمز فيه رموزا صُنعت على أعين الأعداء أو تقودنا فيه قيادات متكلسة.

إن هذا الوعي يمكن أن نواصل صناعته سواء بأنفسنا عبر الكتابة والنقاشات واللقاءات المباشرة، وتشجيع الأصدقاء والمعارف على قراءة الكتب المفيدة التي تشرح لهم الواقع، وتبين تاريخه وخلفياته وتطوراته. أم عبر غيرنا من خلال دعم الشخصيات الجيدة والواعية، وذلك بحث الآخرين على القراءة لهم، والتعرف على أفكارهم. إذ نجد غالبا أن الشخصيات الانتهازية والمتمحورة حول ذاتها تعكف على التصدر وفرض نفسها، بينما الشخصيات الجيدة كثيرا ما تتوارى حرجا وحياء، حتى تعوذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جلد الفاجر وعجز الثقة.



ثانيا - التطوير الذاتي والمبادرة الفردية

إن العصر الذي نعيش فيه لم يعد عصر القوى العظمى والدول القوية والجماعات الكبيرة بمفردهم، إنما دخل المشهد لاعبون جدد أصغر، لهم القدرة على التأثير بشكل كبير في الأحداث، بل وفرض أمر واقع على الكيانات الأكبر، سواء في الجوانب الاقتصادية أم الإعلامية أم السياسية أم الأمنية والعسكرية. فنحن نعيش في ظل تطورات تقنية، وتراجع في سيطرة الأنظمة القمعية على المجال العام، مما يمكن الأفراد من التأثير والفعل مهما كانت إمكاناتهم محدودة، طالما توافرت لديهم الإرادة والعزيمة والإصرار على تقديم شيء نافع.

وهذا يتطلب من المرء أن يطور ذاته، وينمي مهاراته، ثم يختار بعض الثغور الشاغرة، ويسعى لسدها. وهذه الثغور تتنوع تنوعا هائلا مثلما يتنوع الأشخاص وتختلف مهاراتهم. (فهناك من يملك عقلية شمولية تؤهله للرؤية الكلية للمشهد ورسم الاستراتيجيات المحكمة، وهناك من يملك فهما دقيقا وذاكرة قوية تؤهله لأن يكون مشروع عالم في الشريعة يتصدر للإفتاء في النوازل والمستجدات، وهناك من يملك كاريزما وقدرة على الأداء الإعلامي المتميز والتأثير في عموم الجماهير، وهناك من يملك سمات تؤهله لأن يكون مربيا ناجحا يشرف على بناء الأفراد وتكوين الكوادر والارتقاء بهم، وهناك من يجيد لغات أجنبية تتيح له ترجمة مجالات لم تترجم للعربية حتى اليوم، مثل علوم الاستخبارات المتنوعة ومكافحة التمرد، وهناك من يملك شغفا هندسيا وقدرة على الابتكار والاختراع لمعدات وأجهزة وبرامج تضيق الفجوة التقنية بيننا وبين الغرب.. وهناك من لا يملك أي ميزة ذاتية عقلية أو علمية، ولكنه يستطيع أن يفيد النماذج السابقة عبر أمواله أو دوائر علاقاته الواسعة التي تتيح فتح مسارات رعاية وعمل أمام الأصناف السابقة).

ثالثا - توحيد الجهود لا الجماعات.

يبرهن الواقع الحالي على افتقاد أية إدارة مركزية تقدم رؤية وتصيغ حلولا للأزمات. بينما الأعداء ينسقون جهودهم على المستويات الدولية والإقليمية والمحلية ضمن غرف عمليات مشتركة. وهذه المفارقة يمكن حل معضلتها عبر مستويين:

الأول: محور رأسي متعلق بالقيادات الإسلامية ذات الخط التغييري على الجملة، من خلال تنسيق أنشطتها، وتكميل بعضها لبعض، فهناك فئات وشخصيات نخبوية لديها رؤى وأفكار وتصورات متماسكة وجيدة، وهناك فئات أخرى لديها امتدادات مجتمعية وشعبية، وفئات ثالثة لديها إمكانات مالية جيدة، وفئات رابعة لديها خبرات تقنية وعسكرية.. إلخ.

الثاني: محور أفقي متعلق بعموم الأفراد، ويجري خلاله تأسيس أعمال مشتركة بين عناصر التيار الإسلامي، بحيث لا تعتمد تلك الأعمال على البعد الفئوي أو الانتماء التنظيمي، بل تهدف إلى تحفيز الأدوار الفردية والجماعية الصغيرة لمواجهة غياب المركزية. ويجري ذلك بالتوازي مع العمل على بناء مركزيات داعمة، وتصدير رموز في مناطق الشتات المختلفة لمواجهة حملات الاستئصال، وتجفيف المنابع البشرية، وتصفية الرموز التي تتعرض لها بعنف منذ بدء موجة الثورات المضادة.

وأحسب أن هذا سيربط بين محور صناعة الوعي، ومحور التطوير الذاتي والمبادرة الفردية، لتقدم المحاور الثلاثة معا رؤية يمكن العمل عبرها، فضلا عن تطويرها، للقضاء على حالة التيه والجمود التي تضرب جنبات التيارات الإسلامية حاليا.